الحب والجمال عند العرب

الكتاب : الحب والجمال عند العرب

الكاتب : أحمد تيمور باشا

الطبعة : ٢٠١٥



الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com **E-mail: news@apatop.com**

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

باشا ، تيمور ، أحمد

الحب والجمال عند العرب – أحمد تيمور باشا – الجيزة- وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٥

ص ، ١٨ سم .

تدمك : ١- ١٧٩ – ٤٤٦ – ٩٧٧ - ٩٧٨

أ. العنوان **رقم الإيداع / ٨٠٨٨ / ٢٠١٥**

الحب والجمال عند العرب

أحمد تيمور باشا





دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عز وجل – حبّه، وحبّ من يحبه، وحبّ عمل يقرب إلى حبه. ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه:

اللهم إني أسألك حبّك، وحبّ من يحبّك، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك.

اللهم ما رزقتني مما أحبّ، فاجعله قوّة لي فيما تحبُّ، وما زويت عنّي مما أحبّ، فاجعله فراغًا لي فيما تحبّ.

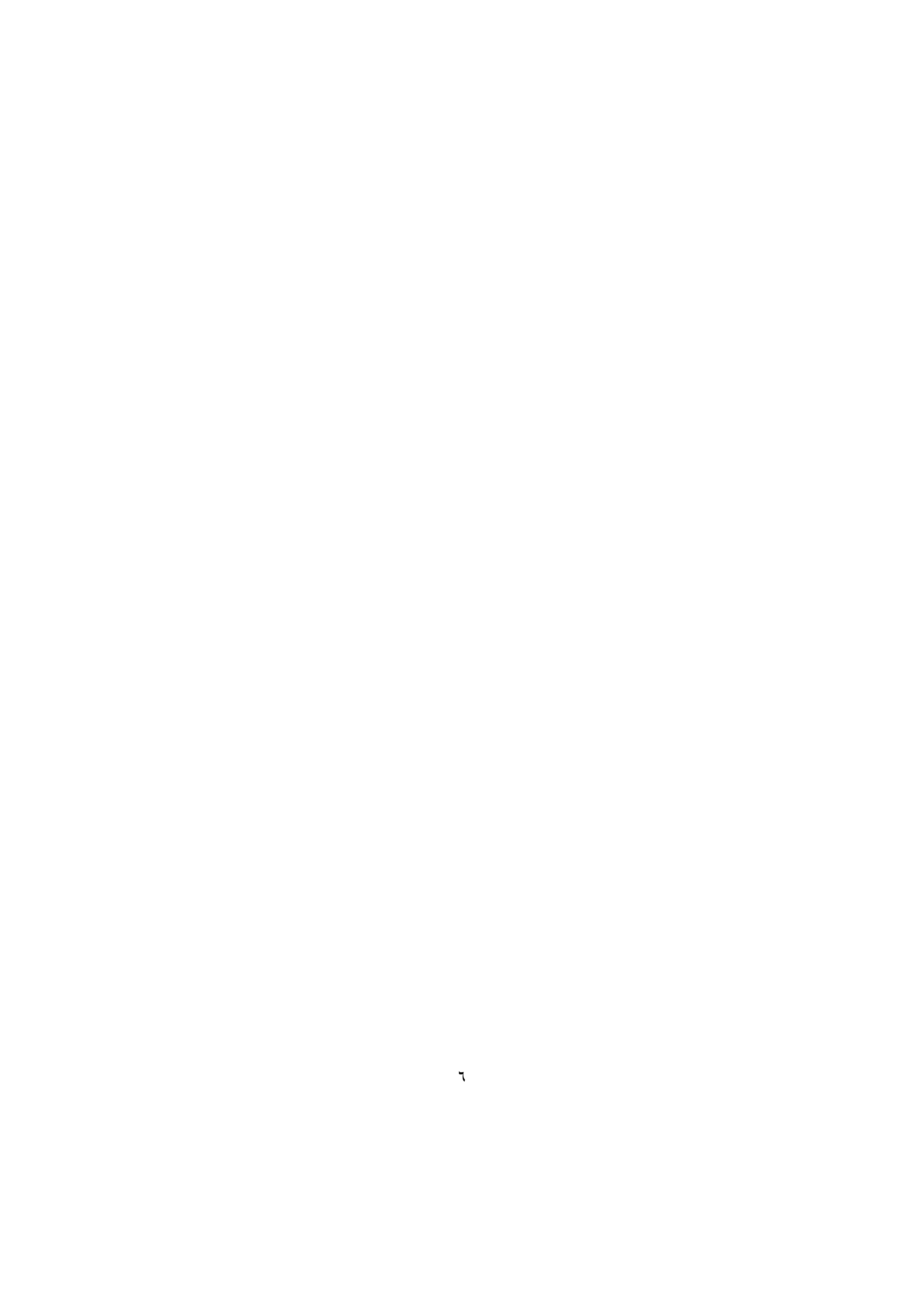
اللهم اجعل حبّك أحب إلي من أهلي ومالي، ومن الماء البارد على الظمأ.

اللهم حبّبني إليك، وإلى ملائكتك، وأنبيائك، ورسلك، وعبادك الصالحين.

اللهم أحيِ قلبي بحبّك، واجعلني لك كما تحب.

اللهم اجعلني أحبّك بقلبي كله، وأرضيك بجهدي كله.

اللهم اجعل حبّي كله لك، وسعيي كله في مرضاتك.



صفات الحب وأغراضه



الحب ما هو؟

قال أبو بكر الورَّاق: سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو؟ فقال: "يا أمير المؤمنين، إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة؛ فيصوَّر من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس، متصل بخواطرها يسمَّى الحب".

وسئل حماد الراوية عن الحبّ ما هو؟ فقال: "الحبُّ شجرة أصلها الفكر، وعروقها الذِّكر، وأغصانها السَّهَرُ، وأوراقها الأسقام، وثمرتها المنيَّة". وقال معاذُ بن سهلٍ: "الحب أصعب ما رُكب، وأسكر ما شُرب، وأقطع ما لُقِي، وأحلى ما اشتُهي، وأوجع ما بَطَن، وأشهى ما عَلَن. وهو كما قال الشاعر:

وللحب آفات إذا هي صرحت ... تبدّت علامات غرر صفر
فباطنه سقم وظاهره جوى ... وأوله ذكر وآخره فكر

وقال بشار العقيلي:

هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تدني إليك فإن الحب أقصاني

وقال غيره:

أحبك حبا لو تحبين مثله ... أصابك من وجد علي جنون
لطيفا من الأحشاء، أما نهاره ... فدمع، وأما ليله فأنين

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم في كتاب "طوق الحمامة في الألفة والألاف": الحب أوله هزلٌ، وآخره جِدّ، دَقَّت معانيه – لجلالتها – عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة، ولا بمحظور في الشريعة؛ إذ القلوب بيد الله عز وجل.

وقد أحبّ من الخلفاء المهديّين، والأئمة الراشدين كثير.

وأفتى ابن عباس بأن قتيل الحب لا دية له، والحب اتصالٌ بين أجزاء النفوس. وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ...﴾.

وللحب علاماتٌ منها: إدمان النظر إلى المحبوب، والإقبال بالحديث إليه، والإنصات إلى حديثه، وتصديقه وإن كذب، وموافقته وإن ظلم، والشهادة له وإن جار. ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه: التعفف، وترك ركوب المعصية والفاحشة.

وعن أبي هريرة – رضي لله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادلٌ، وشاب نشأ في طاعة لله – عز وجل– ، ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمسجد، إذا خرج منه لا يلبث حتى يعود إليه، ورجلان تحابَّا في لله اجتمعا على ذلك

وتفرقا، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجلٌ تصدق فأخفى؛ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".

الحب والمحبوب[1]

قولهم: أحببت حبًّا: الحب ليس بمصدر لأحببت، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب، ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول، ومن ثم جمع كما يجمع الشغل، قال: ثلاثة أحباب: فحبٌّ علاقة، وحبٌّ لخلّان، وحبٌّ هو القتل.

وكلما كان الفعل أعمّ وأشيَع، لم يكن لذكر مصدره معنى، ولولا كشف الشاعر لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف ما فيه من المعموم، وأنه في معنى الشغل كما تقدم.

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما:

أحب أبا مروان من أجل تمره وأعلم أن الحب بالمرء أرفق

ووالله لولا تمره ما حببته وكان عياض منه أدنى ومشرق

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا: محبٌّ، ولم يقولوا: حاب أصلًا. وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي – في الأكثر – فقالوا: محبوب، ولم يقولوا: محب، إلا نادرًا، كما قال:

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

(1) بدائع الفوائد ص ٨٥

فهذا من: أحببت كما أن المحبوب من: حببتُ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في: المحبوب، أكثر من استعمالهم إياه في المحبّ، مع أنه يطلق عليهما.
فمن مجيئه بمعنى المفعول قول ابن الدمينة:

وإن الكثيب الفرد من جانب الحمى إليّ وإن لم آته لحبيب

أي: لمحبوب. ومن مجيئه للفاعل، قول المجنون:

أتهجر ليلى بالفراق حبيبها وما كل نفس بالفراق تطيب

فهذا بمعنى: محبها. وربما قالوا للحبيب: حِبٌّ، مثل: خدن، فخدنٌ وخدينٌ مثل: حبّ وحبيب. وإذا ثبت هذا فقوله: الحبُّ ليس بمصدر لأحببت، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب، وأجروه على الفعل الرباعي استغناء عن مصدره، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم بالحب وألسنتهم به، فاستعملوا منه أحب المصدرين استغناء به عن أثقلهما. فلما كان المحبُّ ملازمًا لذكر محبوبه، ثابت القلب على حبه، مقيمًا عليه لا يروم عنه انتقالًا، ولا يبغي عنه زوالًا، اتخذ له في سويداء قلبه وطنًا، وجعله له سكنًا، حيث قال:

تزول الجبال الراسيات وقلبه على العهد لا يلوي ولا يتغير

وفي شرح لامية العجم للصّفدي:

فالحب حيث العدا والأسد رابضة حول الكناس لها غاب من الأسل

الحُب بالضم: المحبة، وبالكسر: الحبيب نفسه، قال ابن الأنباري: "الحِب هو الحبيب، ويحكى عن بعض العرب أنهم يقولون: فلانة حِبَّتي،«يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد».

عشق الشرف وعشق الجمال

قال عروة بن الزبير – رحمه الله –: "ما عشقت من امرأة قطّ إلا حسن شرفها؛ فإني لأعشق الشرفَ كما أعشق الجمال.

وإنما أراد الحسب، وصراحة النسب، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: « ما عشقت من امرأة قط إلاحسبها».

وقال كُثيِّر الشاعر:

وأنت التي حببت كل قصيرة إلي وما تدري بذاك القصائر

ولم يرد: القصيرة القدّ، وإنما أراد المقصورة في الجمال، من قولك: قصره، إذا حبسه. والمقصورة هي: المحجوبة. ومنه قول لله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾، أي: محبوسات. وقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾، أي: قصرن نظرهنّ على أزواجهنّ، فلا يبغين بهم بدلًا.

ويدل على مراد كُثيِّر في بيته، قوله في البيت الذي بعده:

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطى، شر النساء البحاتر

والبحاتر: القصار.

أحلام المحبين

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعرًا عفّ اللسان، يهوى الحسن أينما وجده، وينحو فيه منحى طاهرًا بريئًا، واشتهر بحب الجمال

العذري، وقد عشق الأدب الرفيع، كما عُمّر فوق الثمانين عامًا، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٦ هـ ومن شعره:

ضن عني بالنزر إذ أنا يقظا ... ن وأعطي كثيره في المنام
والتقينا كما اشتهينا ولا عيـ ... ـب سوى أن ذاك في الأحلام
وإذا كانت الملاقاة ليلا ... فالليالي خير من الأيام

وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعرًا مثله يتفق معه في هواه، وحبه، وعشقه للحُسن والجمال:

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى ... يلفنا الشوق من فرق إلى قدم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي ... مواقع اللثم في داج من الظلم

الحبيب الأول.. والحبيب الآخر

قال حبيب الطائي:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول
كم مترل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لأول مترل

وقد ردّ عليه شعراء آخرون، فمن ذلك قول بعضهم:

افخر بآخر من كلفت بحبه ... لا خير في حب الحبيب الأول
أتشك في أن النبي محمدا ... ساد البرية وهو آخر مرسل؟

ومنه قول ديك الجن الحمْصي:

كذب الذين تحدثوا أن الهوى ... لا شك فيه للحبيب الأول
ما لم أحن إلى مقفر ... درست معالمه كأن لم يؤهل

فقال حبيب:«حين بلغه قول ديك الجن»

كذب الذين تخرصـوا في قـولهم   مـا الحـب إلا للحبيـب الأول
أو طيب في الطعم ما قـد ذقتـه   من مأكل أو طعـم مـا لم يؤكـل

قال العلويّ الأصبهاني[2]:

دع الحب أول مـن كلفـت بحبـه   مـا الحـب إلا للحبيـب الآخـر
ما قـد تـولى لا ارتجـاع لطيبـه   هل غائب اللـذات مثـل الخـاطر؟
إن المـشيب وقـد وفى بمقامـه   أوفى لـدي مـن الـشباب الغـادر
دنياك: يومك دون أمـسك فـاعتبر   ما الـسالف المفقـود مثـل الغـابر

الحب مع اختلاف الدين

قال أبو الطحان الأسديّ، وكان نديمًا لناسٍ من النصارى:

كأن لم يكـن في القـصر مقاتـل   وزروة ظـل نـاعم وصـديق
معي كل فضفاض الثيـاب كأنـه   إذا مـا جـرى فيـه المـدام فتيـق
وإني وإن كانوا نـصارى أحبـهم   ويرتـا قلـبي نحـوهم ويتـوق

وللشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبّه لفتى نصراني يقول فيها:

أرق مـن روح الـصبا وأطيـب   كالمـاء جـسما باللحـاظ يـشرب
ولفظه الـسحر الحـلال يطـرب   سكرت منـه وهـو شـهد يعـذب

فأعجب لشهد مسكر من سحر

قابلتـه بأحـسن الكـلام   مرحبـا معظمـا مقـامي

---

(2) في الصناعتين ص ٣٣٤

ووجهـــه الوضـــاح في ابتـــسام وخـــصني بـــاللطف والإكـــرام
ويالجميل والحيا والبشر

الحب في كلٍّ حال

قال عنترة العبسيُّ به يصف حبّه لعبلةَ ابنة عمِّه، على ظلمها إياه:

أحبك يـا ظلــوم وأنــت مــني مكان الروح مــن جــسد الجبــان
ولو أني أقــول: مكــان روحــي لخفــت عليــك بــاردة الطعــان

وقال بعضهم في الوداع:

ودعتهم مــن حيــث لم يعلمــوا ورحـــت والقلـــب بهـــم مغـــرم
ســـألتهم تـــسليمة منـــهم عليّــإذ راحــوا... فمــا ســلموا
واستحسنوا ظلمي فمــن أجلــهم أحــب قلــبي كــل مــن يظلــم

وقال دعبلُ الخزاعي:

وقف الهوى بي حيث أنت فلـيس لي متــأخر عنـــه ولا متقـــدم
أجـــد الملامـــة في هـــواك لذيـــذة حبــا لــذكرك فلــيلمني اللــوم
وأهنـــتني فأهنـــت نفـــسي صـــاغرا مـــا من يهون عليك ممـــن يكـــرم

حبُّ النساء المال

قال الزبير بن بكار في أنساب قريش: كان «نُبيةُ وأخوه منبه» من وجوه قريش، وذوي النباهة فيهم، ولكنهما قتلا «ببدرٍ» كافرَيْن، وكانـا من المطعِمين يوم بدرٍ.

لقد كان «نُبيه» بضم النون وفتح الموحدة بعدها «ياء» ســاكنة، «فهاء» وكنيته «أبو الزرام» بتشديد الزاي المعجمة، ابن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد بن سهم بن عمر بن هُصيص «بالتصغير» بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان نبيهٌ شاعرًا مطبوعًا على الإجادة، وقد قيل: إن زيد بن عمرو بن نفيل كان يقول:

تلــك عرســاي تنطقــان لهجــر   وتقـــولان قـــول أثـــر وعتـــر

فقال نُبيهٌ من القافية نفسها في زوجتيه، وقد سألتاه الطلاق:

تلك عرساي تنطقان على عمــد   أن اليـــوم قـــول وزور وهتـــر
ســألتاني الطــلاق أن رأتــا مــا   لي قلــيلا ...قــد جئتمــاني بنكــر
فلعلي أن يكثــر المــال عنــدي   ويعــري مــن المغــارم ظهــري
وتــرى أعبــد لنــا وأوراق   ومناصــيف مــن خــوادم عــشر
ونجــر الأذيــال في نعمــة ثم   تقــولان: ضــع عــصاك لــدهر
وي كأننا من يكون لــه نــشب   يحبب ومن يفتقر يعش عــيش ضــر
ويجنــب ســر النجــي وبكــن   أخــا المــال محــضر كــل ســر

ومن شعره:

قصر الشيء بي ولو كنت ذا مــا   لكــثير لأجلــب النــاس حــولي
ولقــالوا: أنــت الكــريم علينــا   ولحطــوا إلى هــواي وميلــي
ولكلت المعــروف كــيلا هنيئــا   ويعجز النــاس أن يكيلــوا ككيلــي

وله أيضًا:

قالت سليمى يوم جئــت أزورهــا   لا أبتغـــي إلا امـــرا ذا مـــال

لا أبتغـــي إلا أمـــرا ذا أنـــضر	كيمـــا أســـد مفـــارقي وخـــلالي
فلأحرصن على اكتـساب محبـب	ولأكـــسبن في عفـــة وجمـــال

في خلاصة الأثر ج[3]

كان الأديب حسين بن أحمد بن حسين المعروف «بابن الجـــزري» الشاعر المشهور الحلبيّ أحد المجيدين، جمع شعره بين الصناعة والرقة، كان إذا تكلم لا يظنّه الإنسان يعرف شيئًا، وكان له خطٌّ نسخي غاية في الحسن إلا أنه كان شديد الأخلاق أحيانًا، وكان مغرمًا بشعر أبي العلاء المعـــري، كثير الأخذ منه، وأخيرًا رآه في منامه، وقرأ عليه اللزوميات، وسمعه يقرر في تلك الرؤيا: "أنّ الخير كل الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعية عليه، والشر كل الشر فيما أكرهتك النفس عليه".

ومن شعر ابن الجزريّ:

وإن كنت متخذا لجرحـــك مرهمـــا	فكتـــاب رب العـــالمين المـــرهم
أو كنت مـــصطحبا حبيبـــا ســـالكا	سبل الهـــوى فلـــزوم مـــا لا يلـــزم

ومن شعره في الغزل:

مـــا عـــشت مـــن ألم الفـــراق	لـــو لم أطـــل أمـــل التلاقـــي
فأظـــل كالملـــسوع مـــن	أفعـــى النـــوى ورجـــاي راقـــي
وإذا بليـــــت بجبـــــهن	في الكـــسوف وفي المحـــاق
حتـــام دمعـــي فيـــك لا	يرقـــا وروحـــي في التراقـــي

(3) في خزانة الأدب ج ٣

وإلام يستـــسقى الفـــؤا ... د ظمـــا وأجفـــاني ســـواقي
وغريـــق دمـــع العـــين لا ... تلقـــاه إلا في احتـــراق
والحـــب مـــا أورى الـــضلو ... ع جـــوى ومـــا أروى المـــآقي
فعـــساك أن تجـــزى مجيـــب ... ك المحبـــة بالوفـــاق
ولقـــد لقيـــت هـــواك أع ... ظـــم مـــا لقيـــت ومـــا ألاقـــي
وصـــبرت فيـــك علـــى العـــدا ... صـــبر الأســـير علـــى الوثـــاق
وعلمـــت أن الـــصبر يـــا ... عـــذب اللمـــى مـــر المـــذاق
اعـــرض عـــن الأعـــراض إع ... فـــ راضـــي لـــديك عـــن النفـــاق
وارفـــق ولـــو بالالتفـــات ... علـــى مـــا بـــين الرفـــاق
فلقـــد يكـــون تلفـــت الأ ... أعنـــاق داع للعنـــاق
واســـتبق مـــني باللقـــا ... ء بواقيـــا ليـــست بـــواقي
أعـــضاء صـــب مآلـــه ... إلاك مـــن عينيـــك زاقـــي
فـــالبيض ســـود عيونهـــا ... أمـــضى مـــن البـــيض الرقـــاق
وقـــد ودهـــن رواشـــق ... في الطعـــن كالـــسمر الرشـــاق
يـــا ثالـــث القمـــرين إلا ... بليـــت بالـــدمع المـــراق

ومن جيد شعره قوله:

نتفداك ســاقيا قــد كــساك الـــ ... ـحسن من فرقك المضيء لساقك
تشرق الشمس من يديك، ومن فيـــ ... ـك الثريا والبدر مـــن أطواقـــك
أو لـــيس العجيـــب كونـــك بـــدرا ... كـــاملا والمحـــاق مـــن عـــشاقك
فتنتـــة أنـــت إذ تميـــت وتحيـــي ... بتلاقيـــك مـــن تـــسا، وفراقـــك
لست من هـــذه الخليقـــة بـــل أنـــ ... ـــت مليك أرسلت مـــن خلاقـــك

الحب خضوع النفس

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكـــر بن أحمد بن عمر الأهدل اليمني الحسيني مشهودًا له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف، والنظم والنثر، وقد رحل إلى كثير من البلدان، وأقام بالحرمين، ثم توطن المخا، وحصل له بها شأن عظيم يغبطه عليـــه صـــفوة أصـــحابه وأترابه، إذ كان له يد طُولى في العلوم الشرعية، والفنون العربية، إلا أنـــه غلب عليه التصوف، كما كان متقنًا لعلم الأسمـــاء والحـــروف، ودوائـــر الأولياء، حتى إنه كان زاهدًا في الدنيا، ومن شعره قوله مشطرًا فائية ابـــن الفارض:

قـــلبي يحـــدثني بـــــأنك متلفـــي ... عـــجل بـــه ولك الـــبقاء، وتصرف

قـــد قلت حين جهلتني وعـــرفتني ... روحـــي فـــداك عـــرفت أم لم تعرف

أنت الـــقتيل بـــأي مـــن أحببتـــه ... فـــلك الـــسعادة في الشهادة يا وفي

ولقد وصفت لك الغـــرام وأهلـــه ... فـــاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

وقال مخمِّسًا قصيدة ابن النبيه:

رقـــــم العـــــذول زخرفـــا وتـــــصنعا ... وأشاع نقض العهد عنـــك وشـــفعا

فأجبتـــه والـــــنفس تقطـــر أدمعـــا ... أفديه إن حفـــظ الهـــوى أو ضـــيعا

ملك الفؤاد فما عسى أن أصنعا

حكـــم الغـــرام فلـــذ بـــه وبحكمـــه ... واثبت على مفروض واجب رسمـــه

واخضع لعـــدل الحـــب فيـــه وظلمـــه ... من لم يذق ظلـــم الحبيـــب كظلمـــه

حلوا فقد جهل المحبة وادعى

يا من بلطف جماله قلبي اقتنص صبري على الأعتاب من جلدي نكص
وثبات حجلي حين زمزمتم رقص
يا صاحب الوجه الجميل تدارك الصبر الجميل فقد عفا وتضعضعا
وفرت من نبل اللواحظ أسهمي وكلمت أحشائي ولم أتكلم
وهجرتني ظلما ولم أتظلم هل في فؤادك رحمة لمتيم
ضمت جوانحه فؤادا موجعا
إني اعترفت بزلتي وجنايتي ورضاك مقصودي وغاية غايتي
يا من ضلالي فيه عين هدايتي هل من سبيل أن أبث صبابتي
أو أشتكي بلواي أو أتضرعا؟
لي في حماك مسارح ومطامح كم بت للغزلان فيه أطارح
يا قلب إن اليوم طيبك نازح يا عين عذرك أن حبي واضح
كلي لفرقته أراد وأزمعا

أشقى الناس أهواها

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي، ولد بحلب، ونشأ بها، وكان له مذاكرة تأخذ بلُبِّ الصاحب ومحاضرات، وترغب من محاضرات الراغب، وله شعر قصير منه قوله:

كتبت وأفكاري بحبك مزقت كما قد بدت في الحب كل ممزق
ولو حم لي التوفيق كنت تركته ولكنني وأصبحت غير موفق
وإذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى فلا تنكرن هذا المقال وصدق

وقال متغزلا:

سألتها عن فؤادي أين مسكنه فإنه ضل عني عند مسراها
قالت: لدي قلوب جمة جمعت فأيها أنت تبغي؟ قلت : أشقاها

رابعة العدوية

روى ابن خلكان قصة «رابعة العدوية» شهيدة الحب الإلهي، قال: كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، مولاة آل عتيك، من أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة.

وذكر أبو القاسم القشيري في «الرسالة» أنها كانت تقول في مناجاتها: إلهي .. أتحرق بالنار قلبًا يحبك؟ فهتف بها مرة هاتفٌ: ما كنا نفعل هذا، فلا تظني بنا ظنّ السوء!

وكان سفيان الثوري عندها يومًا، فقال: واحزناه! فقالت له: «لا تكذب، بل قل: وا قلة حزناه؛ لو كنت محزونًا لم يتهيأ لك أن تتنفّس».

وقال بعضهم: كنت أدعو لرابعة العدوية، فرأيتها في المنام تقول: هداياك تأتينا على أطباق من نور، مخمّرة بمناديل من نور.

وكانت تقول: ما ظهر من أعمالي فلا أعدُّه شيئًا.

ومن وصاياها: اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم.

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب «عوارف المعارف» قولها:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

الحب أحسن المعاصي

في «لوعة الشاكي، ودمعة الباكي» لابن الصفدي:

انتصف الليل، وأقبلت عساكر السعد بالرَّجْل والخيـــل، فـــأمرت صاحبي برفع المدام، وتجهيز المرقد للمنام، فرفع الأواني في الحال، وأقبـــل على ذلك الشأن وطال، وعلق في المرقد نفحات المسك الأذفر، وأطلق فيه مباخر الند والعنبر. ثم قال: أين ترسم لي أن أبيت؟ فقلت: نم عندنا لكـــن خارج البيت، فأنت ممن تحققنا منه المروءة والشفقة، فـــاخرج عنَّـــا، ورد الباب بالحلقة. ففعل ما أمرناه وخرج، ولم يبق في الصدر همٌّ ولا حـــرج، فقلت لمحبوبي: أما تقوم بنا لننام، وأتنعم بتقبيل الثغر واعتناق القوام؟ فقال لي: أقوم ولكن العناق حرام، فقلت: في عنقي تكون الأوزار والآثام:

فقام ينهض والصهباء تقعده وقال	سكرا وحاول أن يسعى فلـــم يطـــق
لي بفتـــــور مـــــن لواحظـــــه	إن العناق حـــرام قلـــت: في عنقـــي

فقال: أستغفر الله من الفجور واللغط، ومن وقوعك أيها الإنـــسان في الغلط. فقلت: لا تظن أن محبتك من المعاصي والـــسيئات، واعلـــم أن هواك من أفضل الفضائل، وأحسن القربات.

أســـتغفر الله إلا مـــن محبـــتكم	فإنهـــا حــــسناتي يــــوم ألقــــاه
فإن زعمتم بأن الحـــب معـــصية	فالحـــب أحـــسن مـــا يعـــصى بـــه

الهوى قدرٌ

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش. قـــال: أخبرنـــا أبـــو العباس محمد بن يزيد المبرِّد قال: سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر:

الـــريح تبكـــي شـــجوها   والـــبرق يلمـــع في الغمامـــة

فقال: هو عندي كقولهم: ويل للشجيِّ من الخليِّ. ومعناه: أن البرق يضحك والريح تبكي.

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها، والبرق يبكي أيضًا وهو يلمع في الغمامة.

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه:

إلا تكن في الهوى أرويــت مــن ظمــأ   ولا فككت من اللأغــلال مأســورا
لقــد دللــت علــى أن الهــوى بــدل   من أجل ما كان مرجــوا ومحــذورا
فحسب نفسي عــنى علمــي بموضــعها   من الهوى وبــأني كنــت معــذورا
وأنت خال وقلــبي ذا الــذي ملكــت   هــواه نفــسك إكراهــا وتخــييرا
إني وغلـــة نفـــسي فيـــك قائمـــة   لم تلق مــذ ألفتــك الــنفس تغــييرا
ولم يكـــن باختيـــار لي فأتركـــه   ولا اضطرار أتــاه القلــب مقهــورا
لكنـــه مـــن أمـــور الله ممتنـــع   في الوصف قــدره الــرحمن تقــديرا
لــن يــضبط العقــل إلا مــن يــدبره   ولن ترى للهوى في العقــل تــدبيرا
كن محــسنا أو مــسيئا وابــق لي أبــدا   تكن لدي علــى الحــالين مــشكورا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا:

فــإن تكــن القلــوب إذا تجــازى   وتــسلك في الهــوى ســننا ســويا
فمـــالي أهـــون الـــثقلين جمعـــا   عليـــك وأنـــت أكـــرمهم عليـــا؟
عمدت ســنين أســتخفي التــصابي   ولا أرضـــى مـــن الوصـــل الرضـــيا
فلم تقلع صــروف الــدهر حــتى   خســِـسْت عــن أن أحيــي أو أحيــا
تبغض ما استطعت وعــش ســليما   فأنـــت أحـــب مخلـــوق إلينـــا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال: أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد:

يا أيها الراكـــب الغـــادي لطيتـــه   عرج أنبئك عن بعـــض الـــذي أجـــد
ما عالج الناس من وجـــد ألم بهـــم   إلا وجدت به فـــوق الـــذي وجـــدوا
حـــسبي رضـــاه وأني في محبتـــه   ووده آخـــــر الأيـــــام أجتهـــــد

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه:

ألا إنمـــا الإنـــسان غمـــد لقلبـــه   ولا خير في غمـــد إذا لم يكـــن نـــصل
فإن كان للإنـــسان قلـــب فقلبـــه   هو النصل، والإنسان من بعده فـــضل

أنواع الحب

ضروب المحبة[1]

المحبة ضروبٌ: أفضلها محبة المتحابين في لله، ثم محبة القرابة، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة البرِّ يصنعه المرء عند أخيه، ومحبة الطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين لسرٍّ يجتمعان عليه، ويلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس.

حب الولد[2]

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ قال: ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرضٌ ذليلةٌ، وسماء ظليلةٌ، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودّهم، ويحبوك جهدهم، ولا تسكن عليهم ثقيلًا؛ فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك.
فقال معاوية: الله أنت يا أحنف، لقد دخلت عليّ وإني لمملوء غضبًا على يزيد، فسللتَهُ من قلبي.

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم.

(٢) في العقد الفريد ج ١ص ٢٧٧ .

فلما خرج الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب. فبعث يزيد إلى الأحنف بمئة ألف درهم ومئة ثوب.

وكان عبد الله بن عمر يذهب بولده سالمٍ كلّ مذهب، حتى لامه الناس فيه فقال:

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم

وقال: إن ابني سالمًا، ليحبُّ الله حبًّا لو لم يَخَفْهُ ما عصاه.

وكان يحيى بن اليمان يذهب بولده داود كل مذهبٍ حتى قال يومًا: أئمة الحديث أربعةٌ: كان عبد الله، ثم كان علقمة، ثم كان إبراهيم، ثم أنت يا داود.

وقال: تزوجتُ أم داود، فما كان عندنا شيء أَلُفُّهُ فيه حتى اشتريت له شكوةً بدانق. وقال زيد بن عليّ لابنه: يا بنيَّ، إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذَّرَنيك، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم يدعُهُ التدليل إلى التفريط، وخير الأبناء للآباء من لم يدعُه التقصير إلى العقوق.

وفى الحديث المرفوع: «ريحُ الولد من ريح الجنة» وفيه أيضًا: «الأولاد من ريحان الله» وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لما بشر بفاطمة: «ريحانةٌ أشمها، ورزقها على الله» ودخل عمرو بن العاص على معاوية وبين يديه بنتُه عائشة، فقال: من هذه؟ قال: هذه تفاحة القلب. فقال له: "انبذها عنك، فوالله إنهنّ ليلدن الأعداء، ويقربن البُعداء، ويورثن الضغائن".

فقال له معاوية: "لا تقل ذاك يا عمرو؛ فوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلهنّ، وربّ ابن أخت قد نفع خالَهُ".

وقال المعلّى الطائي:

لـــولا بنيـــات كزغـــب القطـــا يــــرددن مـــن بعـــض إلى بعـــض
لكـــان لي مـــضطرب واســـع في الأرض ذات الطـــول والعـــرض
وإنمـــــا أولادنـــــا بيننـــــا أكبادنـــــا تمـــشي علـــى الأرض

وكانت فاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تُـرقِّص الحسين بن علي – رضي الله عنهما - وتقول:

إن بـــني شـــبه الـــنبي لـــيس شـــبيها بعلـــيّ

وكان الزبير بن العوام يرقِّص عُروة ابنه ويقول:

أبـــيض مـــن آل أبي عتيـــق مبـــارك مـــن ولـــد الـــصديق
ألتذه كما ألذ ريقي

وقال أعرابي يرقِّص ولده:

أعـــرف منـــه قلـــة النعـــاس وخفـــة مـــن رأســـه في راســـي

وقال عبد الملك: أضرّبنا في الولد حبنا له، فلم نؤدبه، وكأن الوليد أدَّبنا[٤].

حبّ الأيامى واليتامى[٥]

من بديع أخبار الحَكَم: أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر، فلما نزل بوادي الحجارة، سمع امرأة تقول: وا غوثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى كَلَبَ العدو علينا فأيمنا وأيتمنا.

---

[4] يريد الوليد ابنه «الوليد بن عبد الملك».

[5] في نفح الطيب ج ١ص ١٦٢ .

فسألها عن شأنها، فقالت: كنت مقبلةً من البادية في رفقة، فخرجت علينا خَيلُ عدوٍ فقتلت وأسرتْ، فصنع قصيدته التي أولها:

تململت في وادي الحجارة مسندا أراعي نجوما ما يرين تغيرا
إليك أبا العاصي نضيت مطيتي نسير بهم ساريا ومهجرا
تدارك نساء العالمين بنصرة فإنك أحرى أن تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة، ووصف له خوف الثغر، واستصراخ المرأة باسمه، فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فخرج بعد ثلاث إلى وادي الحجارة، ومعه الشاعر، وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت؟ فأُعلِمَ بذلك، فغزا تلك الناحية، وأثخن فيها، وفتح الحصون والديار، وقتل من العدو عددًا كثيرًا، وجاء إلى الوادي فأمر بإحضار المرأة، وجميع من أسُر له أحدٌ في تلك البلاد ثم أمر بضرب رقاب الأسرى بحضرتهم، وقال للعباس: سلها هل أغاثها الحكم؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة: والله لقد شفى الصدور، وأنكى العدو، وأغاث الملهوف، فأغاثه الله، وأعزَّ نصره.

فارتاح لقولها، وبدا السرور في وجهه وقال:

ألم تر يا عباس أني أجبتها على البعد أقتاد الخميس المظفرا
فأدرك أوطارا وأبردت غلة ونفست مكروبا وأغنيت معسرا

فقبل عباس يده وقال: نعم، جزاك الله خيرًا عن المسلمين.

أمثال في الحبّ[6]

قول لسان الدين الخطيب:

---

[6] في نفح الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب.

أصناف المحبّين والعشاق كثير، بحيث يشق إحصاؤهم، ولا يتـــأتى استقصاؤهم، كما أورد أبياتًا من قصيدة أبي فراس الحمداني، التي يقـــول فيها:

تسائلني : من أنـــت؟ وهـــي عليمـــة   وهل بفتى مثلي علـــى حالـــه نكـــر
فقلت كما شاءت وشاء لهـــا الهـــوى   قتيلك، قالـــت أيهـــم فهـــم كثـــر؟

وفي هذا تنبه النفوس الصعبة، على حكم المحبة، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾.

ثم قال المؤلف: "وهذه حكمٌ تجري مجرى الأمثال: المحبة بحرٌ بعيد الـــشط، والفناء منتهى الخط، المحبة مهوى من بعيد، ومجالُ وعدٍ ووعيد".

المحبة ظهرٌ لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه، كم قصمت المحبة مـــن ظهر، وكم سيَّر صوتٌ إلى قهر.

حجة بالغة

قال ابن السبكي – رحمه الله تعالى –:

قالـــت: ألا لا تلجـــن دارنـــا   إن أبانـــــا رجـــــل غـــــاير
قلـــت: فـــإني حاضـــر.. زائـــرا   ولا يـــــلام الزائـــــر الحاضـــــر
قالت : فـــإن الليـــث عـــادٍ بنـــا   قلـــت: فـــسيفي مرهـــف بـــاتر
قالت : فإن القـــصر مـــن دوننـــا   قلـــــت : فـــــإني فوقـــــه طـــــائر
قالت: فـــإن البحـــر مـــن بيننـــا   قلـــــت: فـــــإني ســـــابح مـــــاهر
قالـــت :فـــإن الله مـــن فوقنـــا   قلـــت:نعـــم وهـــو لنـــا غـــافر
قالـــت: فحـــولي إخـــوة ســـبعة   قلـــــت فـــــإني لهـــــم حـــــاذر
قالـــت: لقـــد أعييتنـــا حجـــة   فـــأت إذا مـــا هجـــع الـــسامر
واسقط علينا كـــسقوط النـــدى   ليلـــــة لا نـــــاهٍ ولا آمـــــر

حب الأزواج

زواج النبي من خديجة

قال صاحب كتاب: «سنا المهتدي» أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة -رضي الله عنها - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فذكر ابن إسحاق أنه - صلى الله عليه وسلم - مشى هو وعمه حمزة بن عبد المطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك. وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك، وأن الذي أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد. قال المبرد: وهو الذي خطب خطبة النكاح، وكان مما قال في تلك الخطبة:

"أما بعد، فإن محمدًا ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفًا ونبلًا وفضلًا وعقلًا، وإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك" فقال عمرو: "هو الفحل لا يقرع أنفه، فأنكحها منه"، ويقال: "قاله ورقة بن نوفل. والذي قاله المبرد هو الصحيح"؛ لما رواه الطبري عن جبير بن مطعم، عن ابن عباس، وعن عائشة. قال: إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح ابنة

أخيه خديجة رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، وأن خويلدًا هلك قبـــل ذلك.

وذكر الزهرى أن رسول الله – صلى الله عليـــه وســـلم – قـــال لشريكه الذي كان يتجر معه في مال خديجة: هلمَّ فلنتحدث عند خديجـــة، وكانت تكرمهما، فلما قاما من عندها، جاءته جويرية لها وقالت له: جئت خاطبًا يا محمد؟ قال: كلا. فقالت: ولم؟ فوالله ما في قريش امـــرأة – وإن كانت خديجة – إلا تراك كفؤًا لها. فرجع رسول الله – صـــلى الله عليـــه وسلم – خاطبًا لخديجة مستحييًا منها.

حب خديجة للنبي، وتقديره لها

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّا لله﴾، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرَضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْـــتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

وقد شاءت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – نشأة كريمة طاهرة، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة، والبعد عن صغائر الأمور، فاشتهر بالصادق الأمين.

وقد سمعت خديجة وهي سيدة نساء العرب به، ورغبت في أن يتجر بمالها، فكان نعم التاجر الصدوق المؤتمن، وربحت التجارة كثيرًا؛ لما اتصف به – عليه الصلاة والسلام – من خلق عظيم، وقلب رؤوف رحيم.

وكان يصحبه خادمها «ميسرة» الذي شاهد ما شاهد من طيـــب الخلال، والصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، وقص الخادم علـــى

سيدته ذلك، ومن ثم آنست في سيدنا محمد صفات كمال الرجال، فعرضت عليه أن يتزوج بها، فوافق شاكرًا راضيًا، ولقد كان يخطبها أكبر سادة العرب وجلة ساستهم فلم ترضبواحدٍ منهم.

وكانت على جانب عالٍ من السماحة وجمال الخَلْق والخُلُق معًا، وكان هو – صلوات الله عليه وسلامه – يبلغ الخامسة والعشرين، وتكبره بخمسة عشر ربيعًا. وصادف هذا الزواج المبارك، بل حالفه التوفيق واليمن، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمينة المخلصة.

وبينما كان يتحدث في غار ثور، نأيًا عما كان عليه شباب العرب، حان ظهور جبريل – عليه السلام – لأول مرة، وقال له: اقرأ. فأجابه النبي: ما أنا بقارئ. فضمه إليه ثم أرسله، وأعاد عليه أخرى. وفي الثالثة: نزلت السورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول: «زمّلوني»، وسرد عليها روايته، فهدأت روعه بعد أن اختبرت حالته، إذ خشيت عليه سوءًا فقالت: "والله لن يخزيك الله أبدًا؛ إنك تصل الرحم، وترحم الأرامل والأيتام، وتؤوي الضعفاء والمساكين. ثم رأت أخيرًا أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل، الكاهن، فبشره بأن هذا هو الناموس الذي يترل على أنبياء الله ورسله، وسيكون له شأن عظيم!

ولقد عاشرت خديجة رسول الله قبل الرسالة خمسة عشر عامًا، حتى بلغ الأربعين، معاشرة كلها الحب والوفاء، وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان. وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرفيع المكانة،

فتقول: "كل شيء ملك محمد، ليس لي فيه شيء، فهو صــاحب الأمــر والنهي". ولبثت معه ثمانية وعشرين عامًا في أتم وأكمل ما يتصوره العقل الذكي، واللبّ الحكيم، إلى أن اختارها الله لجواره، ولحقت بالرفيق الأعلى.

ولقد كانت أوّل من آمن به من النساء، وكم حزن عليها ســيدنا محمد – صلوات الله عليه – حزنًا شديدًا، حتى ذكر عــام وفاتهــا بعــام الأحزان، وما زال – عليه الصلاة والسلام – يذكرها بالخير والثناء بعــد رحيلها، ولم يتزوج عليها قط. فما إن كان بمجلس مع عائشة الصديقة بنت الصديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجــة، حــتى قــال: "أعطوهــا وأكرموها"؛ فغارت عائشة قائلةً: "أولم أكن يا رسول الله — أنا البكر — خيرًا منها"؛ فغضب وتغير وقال: "والله يا عائشة، ما عادلها من النساء أحدٌ، لقد أمدتني فقيرًا، وأكرمتني معاشرًا، وملأت عليّ أركــان حيــاتي أنــسًا وسؤددًا". قالت عائشة: "وقد أقسمت بحقه وحبه ألا تذكرها إلا بخير".

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة

قال صلى الله عليه وسلم: «تزوجوا الولود الودود من النــساء؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

وقال أيضًا: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة». ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال: "أبغي امرأة. فقيل له: ما صِفَتُها؟ قال: أريدها بكرًا كثيب، أو ثيبًا كبكر، حلوة من قريب، فخمة من بعيد، كانت في نعمة وأصابتها حاجة، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة، إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة".

السيدة سكينة بنت الحسين

كانت سكينة بنت الحسين[1] سيدة نساء عصرها، ومن أجمل النساء وأظرفهن أحسنهن أخلاقًا، وتزوجها مصعب بن الزبير فمات عنها، ثم تزوجها عبد لله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فولدت له قرينًا، ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول، ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها؛ لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخل معها غيرها من النساء، فلم يسعه إلا الإذعان لأمر سليمان، ولاعتبار ضعف إرادته باتصاله بغيرها من الجواري صارت طالقةً، فطلقها.

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا، وقيل أيضًا إن الطُّرَّة السكينية منسوبة إليها.

ولها نوادر وحكاياتٌ ظريفةٌ مع الشعراء وغيرهم، من ذلك ما يروى من أنها ناظرت عروة بن أذينة – من أعيان العلماء وكبار الصالحين، وله أشعار رائقة – فقالت له: أنت القائل:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي ... ذهبت نحو سقاء الماء أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتقد؟

فقال لها: نعم. فقالت: وأنت القائل:

قالت وأبثثتها سري وبحت به ... قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها: ... غطي هواك وما ألقى على بصري

---

(١) ابن خلكان ج ١

والسيدة سكينة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين، كانت أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبية. وقد تزوجها عبد الله بن الحسن – وهو أبو عذرتها – فمات – ويقال قتل مع الحسين – فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنة فأرسل إليها: سميها زبراء، قالت: أسميها باسم إحدى أمهاتي، فسمتها خديجة أو فاطمة، فماتت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها.

وخطب سكينة عبد الله بن مروان، فقالت أمها: والله لا أزوجها منه أبدًا وقد قتل ابن أختي – تعني مصعبًا – فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام – وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام – فولدت له سكينة ابنًا يقال له قرين، وحكيمًا، وابنة، ويقال ابنتين، فمات عنها، فتزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقًا كثيرًا، فقال عبد الملك: إنا تزوجنا أحسابنا فلم نغرق في الصداق، طلِّقها، فطلقها، فقال أيمن بن خريم:

نكحت كينة في الحساب ثلاثة ... فإذا دخلت بها فأنت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعه ... خاب البقيع وخاب فيه الزراع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان؛ فأصدقها صداقًا كثيرًا، واشترطت عليه ألا يعصي لها أمرًا ولا يغيرها، ولا يمنعها شيئًا تريده، ولا يمنع أحدًا يدخل إليها، وأن يقيمها حيث رغبتها، فتزوجها على هذه الشروط، فقال له سليمان بن عبد الملك: يا زيد بن عمرو، إنك شرطت لسكينة ألا تطأ جارية، وعندك أمثال المها، وأنا أعلم أنك لا تصبر، وأنك قد وطئت بعضهن، وشرطت لها شروطًا لا تستطيع الوفاء بها، وقد حرمت

عليك سكينة؛ فطلقها زيد، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فأبى أهلها أن يرضوا، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم بن هشام، فقال له: انطلق فادخل على أهلك، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه، وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرسًا كثير الشر – لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حينًا بعد زيد لا تخطب – فقالت لها مولاتها: جعلت فداك، لا أرى أهل المدينة يذكروننا. فأجابتها: "أما والله لأجعلن لهم حديثًا"، وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له: "كيف أنت إن تزوجتك"؟ قال: "تجديني خير الناس".

وكانت ظريفة عفيفة، وأديبة فصيحة، فوق ما امتازت به من إشراق المحيا، وسماحة الخلق، وملاحة الخلق، فقيل لها: "يا سكينة، أختك ناسكة وأنت مزاحة"؟ قالت: "إنكم سميتموها باسم جدها المؤمنة، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام"[٢].

ولقد شبب الفرزدق بها، وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) واليًا على المدينة فأخرجه منها ونفاه، فقال جرير في ذلك:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز ... بحقك تنفي من المسجد

وطافت سكينة بنت الحسين – رضي الله عنهما – فلما انتهت إلى الركن اليماني أعيت في أول طواف، ونظر إليها العرجي، فقال:

يقعدن في الطواف آونة ... ويطفن أحيانا على فتر
حتى استلمن الركن في أنف ... من ليلهن يطأن في الأزر
ففرغن في سبعة وقد جهدت ... أحشاؤهن موائل الخمر

---

(٢) أختها فاطمة بنت الحسين، سميت باسم جدها فاطمة الزهراء، وسميت سكينة بنت الحسين باسم آمنة جدها أم الرسول – صلوات لله وأزكى سلامه عليه.

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها، فحفظت الشعر، وقالت: "لو أن الجمال طفن سبعًا لجهدت أحشاؤهن" وكانت سكينة -رضي الله عنها - علِى جانب وافر من الخلال الطيبة فوق ما امتازت به من كـــريم المحتـــد، ودماثة الطبع والجمال.

عاتكة بنت زيد

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند عبد الله بن أبي بكـــر بن أبي قحافة فأحبها، فكان ربما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها؛ لمـــا اتصفت به من حسن الصورة، وسماحة الخلق، وكانت عبلة الجسم، مكتنزة اللحم، على قسط وفير من العلم والأدب، والمعرفة بالشعر؛ مما دعا عبـــد الله إلى الانشغال بها، فأمره أبو بكر – رضي لله عنه – بطلاقها قائلًا لـــه: "قد فتنتك عن دينك، وشغلتك عن معيشتك، فطلقها"، وقال:

لوم أر مثلي طلـــق اليـــوم مثلـــها	ولا مثلـــها في غـــير جـــرم تطلـــق
لها خلـــق سمـــح ورأي ومنـــصب	وخلق ســـوي في الحيـــاء ومـــصدق
أعاتك لا أنساك ما هبـــت الـــصبا	وما نـــاح قمـــري الحمـــام المطـــوق
أعاتك لا أنساك ما أحـــج راكـــب	ومـــا لاح نجـــم في الـــسما محلـــق
أعاتك قلـــبي كـــل يـــوم وليلـــة	إليك بمـــا تخفـــي النفـــوس معلـــق
ولـــولا اتقـــاء الله في حـــق والـــد	وطاعتـــه مـــا كـــان منـــا التفـــرق

فبلغ أبا بكر شعره فأمره فراجعها، وكانت عنده حتى مات شهيدًا، أصابه سهم في حصار الطائف فانتقض به جرحه فمات، فقال لعاتكة حين

احتُضِرَ: لك حديقةٌ من مالي ولا تتزوَّجي؛ فقبلت ذلك، وقال حين راجعها:

أعاتك قد طلقت عني بغصة وراجعت للأمر الذي هو كائن

كذلك أمر الله غاد ورائح على الناس فيه ألفة وتباين

وقد كان قلبي للتفرق طائرا وقلبي لما قد قرب الله ساكن

أعاتك إني لا أرى فيك سقطة وإنك قد حلت عليك المحاسن

وإنك مما زين الله أمره وليس لما قد زين الله شائن

فمات عبد الله وترك سبعة دنانير، فقال أبو بكر: إنا لله، كيف يصبر ابني على سبع كيَّات[٣]، فلما مات عبد الله قالت عاتكة ترثيه:

فجعت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبي بكر، وما كان قصرا

فآليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة وما طرد الليل الصباح المنورا

فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى في الجهاد وأصبرا

إذا شرعت فيه الألسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

ثم ما لبثت أن خطبها عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقالت: إني قد جعلت على نفسي ما لا أقدر معه على التزويج. فقال: استفتي ابن أبي طالب –رضي الله عنه – فاستفتته، فقال: ردي عليهم ما أخذته منهم وتزوجي، فردت الحديقة، فتزوجها عمر –رضي الله عنه – فلما دخل بها أولم، فدنا علي – رضي الله عنه – من خدرها وقال:

(٣) يعني بذلك جزاءه على ما اكتنز من الدنانير ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ...﴾.

فآليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فبكت، فقال عمر: ما أردت إلا أن تفسد علينا أهلنا.

ويقال: قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر، فلما قتل عمر قالت:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للقران منيب
رؤوف على الأدنى غليظ العدا أخي ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

وقالت:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الإمام النجيب
فجعتني بالفارس المقد يوم الهياج والتذبيب[٤]
عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المنتهاب والمحروب
قل لأهل والبأس: موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

فخطبها طلحة بن عبيد الله، فمشى في أمرها هبار بن الأسود، فأفسد عليه، فتزوجها الزبير بن العوام، فنهاها عن الخروج إلى المسجد، فقالت: أتنهاني عن الخروج إلى الصلاة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله»؛ فأعرض عن ذلك أيامًا، ثم قعد لها في طريقها ليلًا، فلما مرت به ضرب عجيزتها بيده – وكانت عظيمة العجيزة جميلة – فرجعت إلى بيتها واسترجعت، وقالت: "سوءةً إنا الله، وتركت الخروج، فقال لها الزبير: مالك تركت الصلاة في المسجد؟ فقالت: قد فسد الناس أبا عبد لله. فقتل عنها، فقالت:

---

(٤) إكثار الذب والدفع، وفي الأغاني التلبيب.

غـــدر ابـــن جرمـــور بهمـــة ... يـــوم اللقـــاء وكـــان غـــير معـــرد
يا عمـــرو لـــو نبهتـــه لوجدتـــه ... ولا طائشا رعش الجنـــان ولا اليـــد
شلت يمينك إن قتلـــت لمـــسلما ... حلـــت عليـــك عقوبـــة المتعمـــد

ثم خطبها علي بن أبي طالب – رضي لله عنه – فقالت: إني أشـــفق عليك من القتل، لم أتزوج رجلًا إلا قتل، فتزوجها محمـــد بـــن أبي بكـــر فخرجت معه إلى مصر، فقُتِل ومُثِّل به، فقالت:

لئن تقتلوا أو تمثلـــوا بمحمـــد ... فما كان من شأن النـــساء ولا الخمـــر(٥)

فتزوجها عمرو بن العاص

وروي أن عبد لله بن عمر – رضي الله عنهما – حدث مرة عـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد» فقال ابن له: لا تدعهن يخرجن، فيتخذنه دغلًا، فزجره وقال له: أقول: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم تقول: لا تدعهن؟! وذكر أبو بكر الخرائطي – رحمه الله – في كتاب «اعتلال القلوب» قال: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام – رضي الله عنهما – فاستأذنته في الخروج إلى المسجد، فشق عليه ذلـــك وكـــره أن يمنعها، فأذن لها، ثم انكمن لها في موضع مظلم من الطريق، فلما مرت عليه وضع يده على بعض جسدها، فكرت راجعة، وسبقها الزبير إلى الـــدار، فلما دخلت عليه تسبح، قال لها: ما ردك عن وجهك؟ قالت: كنا نخـــرج والناس ناسٌ، وأما اليوم فلا، وتركت طلب المسجد.

---

(٥) يقال: مثل به يمثل مثلًا، مثل: قتل يقتل قتلًا، ومثل به تمثيلًا: إذا نكل به.

زواج امرئ القيس

نقل الجرجاني في كتاب «الكنايات» عن كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني، أن عبد الملك بن عمير قال: آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأةً حتى يسألها عن "ثمانية وأربعة واثنين" فجعل يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن: أربعة عشر، فبينما هو، في جوف الليل إذا هو برجل معه ابنةٌ صغيرة له كأنها البدر لتمه، فأعجبته فقال لها: يا جارية، ما ثمانية وأربعة واثنان؟ قالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة فأخلاف الناقة، وأما اثنان فثديا المرأة؛ فخطبها من أبيها، فزوجه إياها، وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فأجابها موافقًا، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس، ثم إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نِحيًا من سمن، ونحيًا من عسل، وحلة من قصب، فنزل العبد في بعض المياه فنشر الحُلة فلبسها، ثم أتاها – وهي خلوف – فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديتها، فقالت له: أعلمْ مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيدًا ويبعد قريبًا، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخي يراعي الشمس، وأن سماءكم انشقت، وأن وعاءكم نضب؛ فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال: أما قولها: ذهب يبعد قريبًا ويقرب بعيدًا، فإن أباها ذهب يحالف على قومه، وأما قولها: ذهبت تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقابل نفساء، وأما قولها: أخي يراعي الشمس، فإن أخاها في صرح له يرعاه، وأما قولها: إن سماءكم

انشقت، فإن البُرد الذي بعثت به انشق، وقولها: إن وعاءكم نضب، فإن النِّحيين اللذين بعثت بهما نقصا، فاصدقني، فقص عليه الغلام القصة.

ثم إن امرأ القيس ساق مئة من الإبل، وخرج نحوها ومعه الغلام، فقام الغلام يسقي الإبل، فعجز عنها، فأعانه امرؤ القيس، فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أهل المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها: قد جاءك زوجك. فقالت: والله لا أدري أزوجي أم لا؟ ولكن انحروا له جزورًا وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا وأكل، ثم قالت: اسقوه لبنًا خائرًا أي حامضًا؛ فشرب، فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، فنام.

فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك. فقال: سليني عما شئت. فقالت: مم تختلج شفتاك؟ فقال: لتقبيلي إياك. قالت: فمم يختلج فخذاك؟ فقال: لتوركي إياك. قالت: عليكم فشدوه وثاقًا، ففعلوا.

واجتاز قوم بأمرئ القيس فأخرجوه من البئر، فرجع إلى حيه وساق مئة من الإبل، وأقبل إلى امرأته فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله لا أدري أزوجي أم لا؟ ولكن انحروا له جزورًا وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا، فلما أتوه بذلك قال: فأين الكبد والسنام واللحى؟! وأبى أن يأكل. فقالت: اسقوه لبنًا خائرًا، فأتى به، فأبى أن يشربه، وقال: أين الضريب والريبة؟! فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، فأبى أن ينام. وقال: افرشوا لي على القلعة الحمراء، واضربوا عليها خباء، ثم أرسلت إليه: هلم شرطتي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها: أن سلي عما شئت، فأرسلت إليه: مم تختلج شفتاك؟ قال: لشرب الشعشعات. قالت: فمم يختلج كشحاك؟ قال: للبسي المحبرات. قالت: فمم يختلج فخذاك؟ قال: لركوبي المطهمات. قالت: هذا زوجي لعمري فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه. ودخل امرؤ

القيس بالجارية التي أحبها حين رآها، فأعجب بجمالها، وسألها، فكان جوابها شافيًا. وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبة له.

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان

كانت أم عقبة، وهي امرأة من بني يشكُر عند ابن عمٍ لها يقال له: غسان، ولما شعر بدنو أجله، أو قرب موته سألها عما تصنع بعده قائلا:

أخـــبري بالـــذي تريـــدين بعـــدي | والـــذي تـــضمرين يـــا أم عقبـــه
تحفظين من بعـــد مـــوتي لمـــا قـــد | كان مني من حسن خلـــق وصـــحبه
أم تريـــــدين ذا جمـــــال ومـــــال؟ | وأنا في الترتـــب في ســـجن غربـــه

فقالت: والله لا أجيبك بكذب، ولأجعلنه آخر حظي منك، وأنشدته:

قد سمعت الذي تقـــول ومـــا قـــد | يا ابن عمي تخـــاف مـــن أم عقبـــه
أنا مـــن أحفـــظ الـــوداع وأرعـــا | ه لما قد أوليت من حـــسن صـــحبه
سوف أبكيك مـــا حييـــت بنـــوح | ومـــــــراث أقولهـــــا أو بندبـــــه

فلما سمعها أنشأ يقول:

أنـــــا والله واثـــــق بـــــك لكـــــن | احتياطيـــا أخـــاف غـــدر النـــساء
بعد موت الأزواج يا خير من عـــو | شر، فارعي لي حق حـــسن الوفـــاء
إنني قد رجوت أن تحفظي العهـــــ | ـــد فكوني إذا مـــتُّ عنـــد الرجـــاء

زواج حاتم الطائي(٦)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريدٍ قال: أخبرنا عبد الرحمن ابن أخـــي الأصمعي، عن عمه، وأبو حاتم عن أبي عبيدة قال: كانت امرأة من العرب،

(٦) في أمالي الزجاجي.

ذات جمال وكمال، وحسب ومال، قد آلت ألا تزوج نفسها إلا كريمًا، ولئن خطبها لئيم لتجدعنّ أنفه، فتحاماها الرجال، حتى انتدب لها زيد الخيل، وحاتم بن عبد الله، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون، فارتحلوا إليها، فلما دخلوا عليها قالت: مرحبًا بكم، ما كنتم زوارًا، فما الذي جاء بكم؟

فقالوا: جئنا زوارًا وخطابًا.

قالت: أكفاء كرام؛ فأنزلتهم، وفرقت بينهم، وأسبغت لهم القِرَى، وزادت فيه. فلما كان اليوم الثاني بعثت بعض جواريها متنكرة في زيّ سائلة، تتعرّض لهم، فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحدٍ منهما، فلما صارت إلى رحل حاتم دفع إليها جميع ما حمل إليه. فلما كان اليوم الثالث، دخلوا عليها فقالت: ليصف كل واحدٍ منكم نفسه في شعره، فابتدر زيد وأنشأ يقول:

هلا سألت بني نبهان ما حسبي ... عند الطعان إذا ما احمرت الحدق

وجاءت الخيل محمرا بوادرها ... بالماء يسفح عن لباتها العلق

والخيل تعلم أني كنت فارسها ... والجار يعلم أني الوابل الغدق

هذا الثناء، فإن ترضي فراضية ... أو تسخطي فإلى من تعطف

وقال أوس بن حارثة: إنك لتعلمين أنا أكرم أحسابًا وأشهر أفعالًا من أن نصف أنفسنا لك، أنا الذي يقول فيه الشاعر:

إلى أوس بن حارثة بن لام ... ليقضي حاجتي فيمن قضاها

فما وطئ الحصا مثل ابن سعدى ... ولا لبس النعال ولا احتذاها

وأنا الذي عُقَّت عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة، وأنشأ يقول:

فإن تنكحي ماوية الخير حاتما فما مثله فينا ولا في الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه فكاك أسير أو معونة غارم
وإن تنكحي زيدا ففارس قومه إذا الحرب يوما أقعدت كل قائم
وإن تنكحيني تنكحي غير فاجر ولا جارف جرف العشيرة هادم
ولا متق يوما إذا الحرب سمرت بأنفسنا نفسي كفعل الأشايم
وإن طارق الأضياف لاذ برجله وجدت ابن سعدى للقرى غير عاتم[7]
فأي هدى أهدى لك الله فاقبلي فإنا كرام من رؤوس الأكارم

وأنشأ حاتم يقول:

أمأوي قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني في طلابكم العذر
أمأوي إما مانع فمبين وإما عطاء لا ينهنهه الزجر
أمأوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر

إلى أن أتى على القصيدة، وهي مشهورة. فقالت: أما أنت يا زيد، فقد وترت العرب، وبقاؤك مع الحرة قليل. وأما أنت يا أوس، فرجل ذو ضرائر، والصبر عليهن شديد.

وأما أنت يا حاتم، فمرضيُّ الخلائق، محمود الشيم، كريم النفس، قد زوجتك نفسي.

حب سحيم لعائشة بنت طلحة

قال أبو الحسن علي المدائني:

---

[7] أي غير مبطئ.

تزوج سحيم بن حفص بعائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو أبو عذرها، فولدت له أولادًا، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر:

أيـــا طلـــح إن كنـــت أعطيـــتني جماليـــــة تـــــستخف الـــــضفارا
فمـــا كـــان نفعـــك لي مـــرة ولا مـــــرتين ولكـــــن مـــــرارا
أبـــوك الـــذي بـــايع المـــصطفى وسار مـــع المهتـــدي حيـــث ســـارا

وقال أيضًا عن سحيم: صارمت عائشة زوجها، وكان في خلقها زعـــارة، وكان يلقى منها البلاء، فقيل له: طلقها، فقال:

وإن فراقي أهـــل بيـــت أودهـــم لهم زلفة عنـــدي لإحـــدى العظـــائم
فكيف يصفوا العيش مـــن بعـــدهم وسخطهم يوماً..عن الأنـــف خـــاطمي

وخطبها مصعب بن الزبير فقالت: إن تزوجته فهو على كظهـــر أمـــي، ثم سألت أهل المدينة فقالوا: اعتقي رقبة وتزوَّجيه، فتزوجها فأصدقها خمـــس مئة ألف، وأهدى لها خمس مائة ألف؛ فقال أنس بن أبي أنس بن زنيم:

تعطى الفتاة بألف ألـــف كامـــل وتبينـــت ســـادات الجنـــود جياعـــا
لـــــو في أبي حفـــــص مقـــــالتي وأبثـــــه مـــــا قـــــد أرى لارتاعـــــا

فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال: إن مصعبًا قدم خيره.

وقال أبو الحسن عن الشعبي: كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت: من أنت؟ قال: مولى عائشة بنت طلحة، خطبها مصعب بن الزبير وتزوجها فأحبها، وكانت امرأة جميلة في أذنها عِظَمٌ، وفي ساقها حموشةٌ[٨]. وقال قوم: في قدمها عِظَمٌ.

---

[8] الحموشة: الدقة.

ورُويَ عن الشعبي أنه قال: أخذ بيدي معصب، فمضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي، فرفع سترًا فإذا عائشة، وإذا هي أحسن الناس وجهًا، فأعرضت وخلاني ودخل، فرجعت، ثم رحت إليه بالعشيّ وهو جالس، فأشار إليّ بيده وقال: أرأيت ذاك الإنسان؟ قلت: نعم. فقال: أفرأيت مثله؟ فقلت: لا. قال: تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر:

وما زلت من ليلى لدن طر شاربي ... إلى اليوم أخفي حبها فأبي[٩]
وأحمل في ليلى لقلبي ضغينة ... وتحمل في ليلى عليّ الضغائن

يا شعبي: رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة، ثم قال لابن أبي فروة: أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوبًا، فقتل عنها مصعب، وأنبأ الحسن قال: قال سلم بن قتيبة: رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد، فسلمت عليها، وانتسبت لها، فبكت وقالت: يرحم الله مصعب، ثم أرادت النهوض، فأخذت امرأتان بيديها – وعندها نسوة – فاعتمدت على المرأتين، فما كادت أن تستقل حتى خذلها وركاها، فقالت إحدى المرأتين: إنا بك لمتعبات، وكانت مديدة الجسم، مكتنزة اللحم، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشراقها.

الثريا وعمر بن أبي ربيعة[١٠]

حدثنا الزبير بن بكار، عن مَسْلَمَة المخزومي عن أيوب: أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقًا بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية

---

[9] البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢:١٣٢) وروايته: «وأداجن».

[10] في الأغاني ج ١.

الأصغر، وكانت أهل ذلك جمالًا وتمامًا، وكانت تصيف بالطائف، وكــان عمر يغدو عليها على فرسه، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة مــن الطائف عن الأخبار، فلقي يومًا بعضهم فسأله عن أخبارهم، فقــال: مــا استطرقنا خبرًا، إلا أنني سمعت عند رحيلنا صوتًا وصياحًا عاليًا على امرأة من قريش نسيت اسمها، ولعله نجم في السماء.

فقال عمر: الثريا؟ قال: نعم.

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليلة، فوجَّه فرسه إلى الطــائف يركضه، وسلك أخشن الطرق وأقربها، حتى انتهى إلى الثريا، وقد توقعتــه وهي تتشوق له فوجدها سليمة ومعها أختاها: رضيا، وأم عثمان، فأخبرها الخبر، فضحكت وقالت: أنا أمرتهم لأختبر ما لي عندك، فقال عمر في ذلك هذا الشعر:

تشكى الكميت الجــوى لمــا جهدتــه — وبــيّن لــو يــستطيع أن يتكلمــا
فقلــت لــه: إن ألــق للعــين قــرة — فهــان علــيّ أن تكــل وتــسأما
لــذلك أدنى دون خيلــي رباطـــه — وأوصــى بــه ألا يهــان ويكرمــا
عدمت إذن وفري وفارقــت مهجــتي — لــئن لم أقــل قرنــا إن الله ســلما

فقال مسلمة بن إبراهيم: قلت لأيوب بن مسلمة: أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة؟ فقال: وفوق الصفة، كانت والله كما قال عبد الله بــن قيس:

يا حبذا الحج والثريا ومــن بالــ — ــخيف من أهلــا ومــا في الرحــال
يــا ســليمان إن تــلاق الثريــا — تلق عــيش الخلــود قبــل الهــلال
درة مــن عقائــل البحــر بكــر — لم يــشنها مثاقــب لــلآلي

تعقد المئزر السخام من الحر على حقو بادن مكسال

وحدثنا عمر بن شبة قال: أخبرنا محمد بن يحيى قال: زعم عبيد بن يعلى قال: حدثني كُثيِّر بن كُثيِّر السهمي قال: لما ماتت الثريا، أتاني الغريض فقال لي: قل أبيات شعر أنح فيها على الثريا، فقلت:

ألا يا عين مالك تدمعينا أمن رمد بكيت فتكحلينا؟
أم أنت حزينة تبكين شجوا فشجوك مثله أبكي العيونا

أبو الأسود الدؤلي وامرأته وابنهما

قال صاحب:«سناء المهتدي»

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامرأته في ابن لهما، وترافعا إلى زياد – وأراد كل أخذه – فقالت المرأة: أصلح الله الأمير، هذا ابني، كان بطني وعاءه، وحجري فناءه، وثديي سقاءه، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل بذلك سبعة أعوام، حتى استوفى فصاله، وكملت خصاله، واستوكعت أوصاله، وأمّلت نفعه، ورجو دفعه، أراد أن يأخذه مني كرهًا، فأنصفني فقد أراد قهري، وحاول قَسري.

فقال أبو الأسود: حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظر في تقويم أوده، وأمنحه علمي، وألهمه حلمي، حتى يكمل عقله، ويستكمل نُبله.

فقالت المرأة: صدق أصلحك الله؛ حمله خفًّا، وحملته ثقلًا، ووضعه شهوةً، ووضعته كرْهًا.

فقال زياد: اردُد على المرأة ولدها فهي أحق به منك، ودعنا من سجعك.

المجرد والمرأة التي تبعها

قال ابن وهب: تبعت جارية إلى منزلها، طامعًا فيها، فسقتني نبيــذًا وغنت على عودها بصوتٍ ما سمعت أعذب منه، ولا أنفذ إلى القلب:

كــأني بــالمجرد قــد علتــه.. نعال القــوم أو خــشب الــسواري

فقلت لها: جُعِلْت فداءك، لم أفهم هذا الشعر، ولا أحسبه مما يغنَّــى بــه. قالت: أنا أول من تغنى به، وإنما هو بيتٌ لا يدرى قائله ومعه بيتٌ آخر.

قلت: سُرِّيني بأن تغنِّيه لعلي أفهم. قالت: ليس هذا وقته، هو آخر ما أتغنى به.

قال: وجعلتُ لا أنازعها شيئًا إجلالًا لها وإعظامًا، فلمــا أمــسينا وجاءت العشاء الأخيرة، وضعت عودها، فقمت فصليت وما أدري كــم صليت عجلةً وتشوقًا، فلما سلمت، قلت: تأذنين لي – جعلت فــداءك – في الدنوِّ منك؟

قالت: هذا لكَ، ولكن بعد أن يتجرد كل منا، ثم ذهبت كأنها تريد أن تخلع ثيابها، فكدت أن أشق ثيابي من العجلة للخروج منها، ولما قمــت بين يديها متجردًا. قالت: انته إلى زاوية البيت، وأقبل إليّ مقبلًا ومــدبرًا. قال: وبينا أنا في طريقي إلى الزواية، أردت اجتياز حصير في الغرفة، فمــا كدت أن أستقرّ فوقه حتى هبط بي في خَرْق تحته، وإذا أنا في السوق مجردًا، وإذا شيخان هناك قد كمنا في ناحية، وأعدَّا نعالهما، فلما هبطت عليهمــا بادراني فقطعا نعالهما على قفاي، وجاء أهل السوق، فشاركوهم فيــضربي

حتى أنسيت اسمي، وبينما أنا أخُبَطُ بنعالٍ مخصوفةٍ، وأيدٍ ثقالٍ، وخُـشبٍ دقاقٍ، إذا صوتٌ من فوق البيت يغني:

كـأني بـالمجرد قـد علتـه نعال القـوم أو خـشب الـسواري
ولـو علـم المجـرد مـا أردنـا لبادرنـا المجـرد في الـصحاري

الشعراء العشاق



جميل بُثَيْنَة[1]

إنه لمعلوم أن بثينة محبوبة جميل قائد الشعر، وقد نسب بعض الشعراء بنساء مخصوصة، واشتهر كل واحد منهم بمن تغزل بها، فاشتهر جميل ببثينة، واشتهر كثيّر بعزة، وعروة بن حزام بعفراء، وقيس مجنون بني عامر بليلى، وقيس بن ذريح بلبنى، والمرقش بفاطمة، وذو الرمة بميّة وهي الخرقاء، والعباس بن الأحنف بفوز.

وبعض الشعراء لا يلتزم التغزل بامرأة مخصوصة كامرئ القيس.

وبثينة مصغر بثنة – قال صاحب الصحاح: البثنة – بالتسكين: الأرض اللينة، وبتصغيرها سميت: بثينة.

أما قصة جميل بن معمر العذري، فقد روى صاحب «الأغاني» بسنده، قال: اجتمع جميل مع جماعة من رهطه يتحدثون، فقال بعضهم: بالله حدثنا بأعجب يوم لك مع بثينة. قال: نعم، مُنعَتْ من لقائي مدة، وتعرضت لها جهدي، فلم أصل إليها، فبينما أنا ذات ليلة جالس بين

(١) في خزانة الأدب ج ٣

شجرات بالقرب من حيها، وقد أقمت ثلاثًا أنتظرها، إذا شخص قد أقبل إليّ، فجلست وانتضيت سيفي، فلم ألبث أن غشيني الشخص، فإذا هي بثينة قد أكبت عليّ؛ فأدهشني ذلك، وبقيت متحيرًا لا أحير جوابًا إليها، ولا أراجعها كلمة حتى برق الصبح، وما استطعت أن أكلمها.

قالوا: فهل قلت في ذلك شيئًا؟ فأنشدهم قصيدة طويلة، وهذه أبيات من أولها:

أهاجم أم لا بالتناضب مربع	ورسم بإخراج الغديرين، بلقع
ديار لليلى[2]..إذ نحل بها معا	وإذ نحن منها في المودة نطمح
فيارب حببني إليها، وأعطني الـ	ـمودة منها، أنت تعطي وتمنع
وإلا.. فصبرني وإن كنت كارها	فإني بها يا ذا المعارج مولع
فإن يك قد شطت نواها وقد نأت	فإن القوى مما تشتُّ وتجمع
جزعت غداة البين لما تحملوا	وما كان مثلي يا بثينة يجزع
تمتعت منها يوم بانوا بنظرة	وهل عاشق من نظرة يتمتع؟

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جميلًا طال مقامه بالشام، ثم قدم وبلغ بُثَيْنَةَ خبره، فراسلته مع بعض نساء الحي، تذكر شوقها إليه، ووجدها به، وواعدته لموضع يلتقيان فيه، فصار إليها، وحادثها طويلًا، وأخبرها بحاله بعدها.

---

(٢) لا يخفى أن جميلًا ينسب ببثينة. وإنما ذكرها باسم ليلى جريًا على عادة الشعراء في إخفاء أسماء معشوقاقم أحيانًا.

قال: وقد كان أهلها رصدوها، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليها، فوثب جميل فسلَّ سيفه وشدَّ عليهما، فاتقياه بالهرب، وناشدته بثينة بالانصراف وقالت: إن أقمت فضحتني، ولعل الحيَّ أن يلحقوك، فأبى وقال: أنا مقيم، وامضي أنت وليصنعوا ما أحبوا، فلم تزل تناشده حتى انصرف، وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه، فقال هذه الأبيات الستة:

بمختلف الأرواح بين سويقة وأحدب[3]كادت بعد عهدك تخلق[4]

أضرت بها النكباء[5] كل عشية ونفح الصبا[6]والوابل[7] المتعبق[8]

وقفت بها حتى تحلت عمايتي[9] ومل الوقوف الأرحبي[10] المنوق[11]

وقال خليلي: إن ذا الصبابة ألا تزجر القلب اللجوج فيحلق

تعز وإن كانت عليك كريمة لعلك من أسباب[12] بثنة تعتق

فقلت له: إن البعاد يشوقني وبعض بعاد البين والنأي أشوق

---

(٣) سويقة وأحدب: موضعان.

(٤) تخلق: تبلى، يقال خلق الثوب وأخلق.

(٥) النكباء: كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أي عدلت.

(٦) نفح الصبا: النسيم العليل

(٧) الوابل: المطر العظيم.

(٨) المتبعق: المطر العظيم.

(٩) عمايتي: بفتح العين من العماية، هي من عمى القلب.

(١٠) الأرحبي: الجمل النجيب منسوب إلى أرحب وهي قبيلة، وقيل فحل، وقيل موضع.

(١١) المنوق: المذلل كالناقة.

(١٢) وقوله: لعلك من أسباب بثنة. روي بدله: لعلك من رق لبثنة ...

كثير عزة

من «بلاغات النساء»[١٣] ما حدثنيه الزبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن عباس السعدي قال: كان كثير بن عبد الرحمن يلقى من يحج من قريش في كل سنة بهدية، فغفل سنة عنهم، حتى أصبح يومًا فركب من مترله بكلبة جملًا، واستقبل الشمس في يوم صائف، فلم يأت قديدًا حتى احترق وضجر، وجاء وقد راح الناس، إلا فتى من قريش تخلّف ومعه راحلةٌ له، على أن يلحق بهم.

قال الفتى القرشي: فإني لجالس إذ أقبل كثير فجلس إلى جنبي ولم يسلم، ثم جاءت امرأة جميلةٌ وسيمةٌ، فاستندت إلى خيمةٍ من خيام قديد، ثم قالت له: أنت كثير بن أبي جمعة؟ قال: نعم. قالت: أنت الذي تقول:

وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي   وأعرضن عني هيبة لا تجهما

قال: نعم. فتأمّلت وجهه مبتسمة وقالت: أعلى مثل هذا الوجه هيبة؟ إن كنت كاذبًا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فقال لها: كثّير: من أنت؟ واحتد عليها وهي ساكتة، ثم قال لها: لو أعلم من أنت لقطعتك وقطعت قومك هجاء. فلما سكن، قالت له: أأنت الذي تقول:

متى تنتشروا عني العمامة تبصروا   جميل المحيا أغفلته الدواهن؟

أنت جميل المحيا؟! إن كنت كاذبًا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

---

(١٣) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجر كثيّر، وسكتت عنه حتى سكن. ثم قالت: أنت الذي يقول:

يروق العيون الناظرات كأنه ... هرقلي وزن أحمر التبر وازن

أهذا الوجه يروق العيون؟ إن كنت كاذبًا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فازداد ضجرًا، وقال: قد أعلم من أنت، ولأقطعنك وقومك، وقام، فالتفت فإذا هي قد ذهبت.

قال القرشي: فلما كان منصرفي من قديد، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة، وقلت لها: لك عليّ إن أخبرتني من هي أن أطوي لك ثوبيّ هذين إذا قضيت إحرامي، وآتيك بهما فأدفعهما إليك. قالت: والله لو أعطيتني وزنهما ذهبًا ما أخبرتك من هي. هذا كثيِّرٌ – وهو مولاي – قد أبيت أن أخبره من هي.

قال القرشي: فرحت وبي أشد مما بكثيّر!

عمر بن أبي ربيعة

كان عمر بن أبي ربيعة[١٤] معروفًا بشغفه حبًّا في النساء، وعشقًا لمحاسنهن، والتشبيب بمن يهواها، وهذه أبيات له:

فلما تقضى الليل إلا أقله ... وكادت توالي نجمه تتغور
أشارت بأن الحي قد حان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزور
فما راعني إلا مناد تحملوا ... وقد شق معروف من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تثور منهم ... وأيقاظهم قالت أشر كيف تأمر

(١٤) في خزانة الأدب ج ٣ .

فقلـــت أبـــاديهم فأمـــا أفـــوتهم ثلاث شـــخوص كاعبـــان ومعـــصر
فقالت أتحقيـــق كمـــا قـــال كاشـــح علينـــا وتـــصديق لمـــا كـــان يـــؤثر
فإن كـــان مـــا لا بـــد منـــه فغـــيره مـــن الأمـــر أدنى للخفـــاء وأســـتر
أقـــص علـــى أختـــي بـــدء حـــديثنا ومـــا بي مـــن أن تعلمـــا متـــأخر
لعلـــهما أن تبغيـــا لـــك مخرجـــا وأن ترحبا سربا بمـــا كنـــت أحـــصر
فقامت كئيبـــا لـــيس في وجههـــا دم مـــن الحـــزن تـــدني عـــبرة تتحـــدر
فقالت لأختيهـــا أعينـــا علـــى فـــتى أتى زائـــرا والأمـــر للأمـــر يقـــدر
فأقبلتـــــا فارتاعتـــــا ثم قالتـــــا أقلي عليك اللـــوم فالخطـــب أيـــسر
فكان مجني دون مـــن كنـــت أتقـــي ودرعي وهذا البرد إن كـــان يحـــذر
يقوم فيمشي بيننا متنكرا فقالت لهـــا فلا ســـرنا يفـــشو ولا هـــو يظهـــر
الـــــصغرى ســـــأعطيه مطـــــرفي وأمـــا ينـــال الـــسيف ثـــأرا فيثـــأر

من شعر أمية بن الصلت في الغزل

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من «الطويل»:

ألا حَيِّيَـــا لَيْلـــى أجَـــدَّ رَحيلـــي وآذَنَ أصْـــحَابي غَـــداً بقُفُـــولِ
تبـــدَّتْ لـــهُ ليلـــى لتغلـــبَ صـــبرهُ وَهَاجَتْكَ أُمُّ الـــصَّلْت بعْـــدَ ذُهُـــولِ
أُرِيـــدُ لأنْـــسَى ذِكْرَهَـــا فَكَأَنَّمَـــا تمَثَّـــلُ لي ليلـــى بكـــلِّ ســـبيلِ
إذا ذُكِـــرَتْ ليلـــى تَغَـــشَّتْكَ عَبْـــرَة تُعَـــلُّ بهـــا العَيْنَـــانِ بَعْـــدَ نُهُـــولِ
وكم من خليلٍ قـــال لي لـــو ســـألتَها فقلت: نعـــمْ ليلـــى أضـــنُّ خليـــلِ
وأَبْعَـــدُه نَـــيْلاً وأَوْشَـــكُهُ قلًـــى وإن سُـــئلتْ عرفـــاً فـــشرُّ مـــسولِ
حلفتُ بـــربِّ الرّاقـــصات إلى مـــنى خلالَ المـــلا يمـــدُدنَ كـــلَّ جـــديلِ
تراهـــا وفاقـــاً بينـــهنَّ تفـــاوتٌ ويمـــددنَ بـــالإهلالِ كـــلَّ أصـــيلِ
تَوَاهَقْنَ بالحُجّاجِ مِـــنْ بَطْـــنِ نَخْلَـــةٍ وَمِنْ عَزَوَرٍ والخَبْـــتِ خَبْـــتِ طَفِيـــلِ
بِكُـــلِّ حَـــرَامٍ خَاشِـــعٍ مُتَوَجِّـــهٍ إلى الله يَـــدْعُوه بِكُـــلِّ نقيـــلِ

على كلِّ مذعانِ الرّواح معيدةٍ — ومخشيّةٍ ألاّ تعيد هزيلِ

شوامذَ قد أرتجنَ دون أجنَّةٍ — وهوجٍ تبارى في الأزمّةِ حولِ

يمينَ امرئٍ مستغلظ بأليّةٍ — ليُكذِبَ قيلاً قَدْ أَلَحَّ بقيلِ

لقد كذبَ الواشون ما بحتُ عندهُمْ — بليلى ولا أرسلتهم برسيلِ

فإن جاءك الواشونَ عني بكذبةٍ — فروْها ولم يأتوا لها بحويلِ

فَلاَ تَعْجلي يَا لَيْلَ أنْ تَتفَهَّمي — بِنُصْحٍ أتى الوَاشُون أمْ بحُبُولِ

فإنْ طبتِ نفساً بالعطاءِ فأجزلي — وخيرُ العطايا ليلَ كلُّ جزيلِ

وإلاّ فإجمالٌ إليّ فإنّني — أُحبُّ من الأخلاقِ كُلّ جميلِ

فإنْ تَبذُلي لي منك يَوماً مَوَدَّةً — فَقِدْماً صَنَعت القَرْضَ عِنْدَ بَذُولِ

وإنْ تَبْخَلي يا لَيْلَ عَنّي فإنّني — تُوَكّلُني نَفْسي بكلّ بخيلِ

ولستُ براضٍ من خليلي بنائلٍ — قليلٍ ولا رَاضٍ لَهُ بقليلِ

وَلَيْسَ خَليلي بالمَلُولِ ولا الّذي — إذا غبتُ عنهُ باعني بخليلِ

ولكنْ خليلي منْ يدومُ وصالُهُ — ويحفظُ سرّي عندَ كلِّ دخيلِ

ولم أرَ من ليلى نوالاً أعدُّهُ — ألا ربّما طالبتُ غيرَ منيلِ

يلومُكَ في ليلى وعقلُكَ عندها — رجالٌ ولم تذهبْ لهم بعقولِ

يقولون ودّعْ عنكَ ليلى ولا تهمْ — بقَاطعَةِ الأقْرَانِ ذات حليلِ

فَمَا نَقَعَتْ نَفْسي بما أمرُوا بهِ — ولا عِجْتُ منْ أقْوَالِهِمْ بفَتيلِ

تذكّرتُ أتراباً لعزَّة كالمَها — حبينَ بليطٍ ناعم وقبولِ

وكنتُ إذا لاقيتُهنَّ كأنّني — مخالطةٌ عقلي سلافُ شمولِ

تأَطَّرْنَ حَتَّى قُلْتُ لَسْنَ بَوَارِحاً — رَجَاءَ الأماني أنْ يَقلْنَ مقيلي

فأبدين لي من بينهنَّ تجهُّماً — وأخلفنَ ظنّي إذْ ظننتُ وقيلي

فلأياً بلأيٍ ما قضينَ لبانةً — من الدّارِ واستقللن بعد طويلِ

فلمّا رأى واستيقنَ البينَ صاحبي — دعا دعوةً يا حبترَ بنَ سلولِ

فَقُلْتُ وأَسْرَرْتُ النَّدَامَةَ لَيْتَني — وَكُنْتُ امرءاً أغتشُ كلَّ عَذُولِ

سَلَكْتُ سَبيل الرَّائحَات عَشيَّة ً مَخَارمَ نصْعٍ أَوْ سَلَكْنَ سَبيلي
فَأَسْعَدْتُ نَفْساً بالهوى قَبْلَ أنْ أرى عوادِيَ نأيِ بيننا وشغولِ
نَدمْتُ عَلَى مَا فاتني يَوْمَ بنتُمُ فيا حَسْرَتَا ألاَّ يَرَيْنَ عويلي
كأنَّ دموعَ العينِ واهيةُ الكُلى وعتْ ماءَ غربٍ يوم ذاك سجيلِ
تكنَّفها خُرقٌ تواكلنَ خرزَها فأَرْخَيْنَهُ والسَّيْرُ غَيْرُ بجيلِ
أقيمي فإنَّ الغورَ يا عزَّ بعدكمْ إليَّ إذا ما بنتِ غيرُ جميلِ
كفى حزناً للعينِ أن راءَ طرفُها لعزَّةَ عيراً آذنتْ برحيلِ
وقالوا: نأتْ فاخترْ من الصَّبروالبُكا فقلتُ البُكا أشفى إذاً لغليلي
فَوَلَّيْتُ محزوناً وَقُلْتُ لِصَاحبي أقاتلتي ليلى بغير قتيلِ؟
لعزَّة إذْ يحتلُّ بالخيفِ أهلُها فأَوْحشَ منها الخَيْفُ بَعْدَ حُلُولِ
وبدَّلَ منها بعدَ طولِ إقامةٍ تبعُّثُ نكباءِ العشيِّ جفولِ
لقد أكثرَ الواشونَ فينا وفيكمُ ومالَ بنا الواشون كلَّ مميلِ
وما زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنْ طَرَّ شاربي إلى اليومِ كالمُقصى بكلِّ سبيلِ

حب امرئ القيس

من بين جبال اليمن السعيدة – وقد اشتهرت بخصب أرضها – جبل يقال له: ضارج ... وهو جبل معوف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى ويعلو الماء فيه، «العرمض» مكان مرتفع يقال له، «طامي» ويقال له أيضًا: ثور الماء، لتفجر ثورانه من بين صخور وأحجار.

وقد ذكر البكري أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم، فلما أتوا

«ضارجًا» وهو ذلك الجبل الذي يفيء عليه الظل وارفًا جميلًا من نبات العرمض، بخضرته اليانعة، ورائحته الطيبة.. ذكر أحدهم قول امرئ القيس:

ولمـــا رأت أن الـــشريعة همهـــا وأن البياض مـــن فرائـــضها دامـــي
تيممت العين[١٥] التي عند ضارج يفيء عليه الظل عرمضها طـــامي[١٦]

وإنه لخبر عجيب – سقناه – على أثر من آثار الطبيعـــة الـــتي أبـــدع الله صنعها.

ذو الرمّة وميّة

اشتهر ذو الرمّة بحب خرقاء، ولقبت: مية. ومما يؤثر عنه أنه يخاطب نفسه – في قصيدة طويلة كلها غزل ونسيب – فيقول:

وإذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتهـــا تخلـــق حبـــال الوســـائل
وأهلـــة ودّ قـــد تبريـــت ودهـــم وأبليتهم في الحمـــد جهـــدي ونـــائلي

توبة وليلى الأخيلية

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان، وأبو إسحاق الزجاج، عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد قال: ثبتت الروايات والأخبار «ليلى الأخيلية»[١٧] إن لم تكن امرأة توبة بن الحمير ولا أخته، ولا كان بينهما نسب شابك، إلا أنهما كانا جميعًا من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر

---

(١٥) إشارة إلى الماء.

(١٦) الطامي: المرتفع الذي يعلو نباته الماء.

(١٧) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

بن صعصعة، وكان يحبها وتحبه، فأقاما على حب عفيف دهرًا، وتلك هي السنة في عشاق بني عذرة وغيرهم، إلى أن قتل توبة، وكان سبب قتله أنه كان يطلبه بنو عوف فأحسوا قدومه من سفره، فأتوه طروقًا، وبينه وبين الحي مسيرة ليلة، ومعه أخوه «عبد الله» ومولاه «قابض»، فهرب وأسلماه، ففي ذلك تقول «ليلى»:

دعا قابضا والمرهفات تنوشه فقبحت مدعوا، ولبيت داعيا
فيا ليت عبد الله حل مكانه فأودى، ولم أسمع لتوبة ناعيا

ومن جيد ما ترثيه به قولها:

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياة المغاير
فلا الحي مما يحدث الدهر سالم ولا الميت إن لم تصبر الحي ناشر
وكل شباب او جديد الى بلى وكل امرئ يوما إلى الله صائر
فلا يبعدنك الله توبة هالكا أخا الحرب إذا دارت عليه الدوائر
وأقسمت لا أنفك أبكيك مادعت على غصن ورقاء أو طار طائر
قتيل بني عوف فيا لهفتا له وما كنت إياهم عليه حاذر

قال أبو القاسم رحمه لله: قولها: «أقسمت أبكي بعد توبة هالكًا»، أي: لا أبكي بعد توبة هالكًا. والعرب تضمر «لا» في القسم مع المعنى، لأن الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون، كقولك: ولله لأخرجن، وقال لله عز وجل: ﴿تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾، أي: لا تفتأ تذكر يوسف. وقولها: «ولا الميت إن لم يصبر الحيُّ ناشر» يقال: نشر الله الموتى فنشروا، أي أحياهم فحيوا.

قال الشاعر:

لـــو أســـندت ميتـــا إلى نحرهـــا عـــــاش ولم ينقـــــل إلى القـــــابر
حـــتى يقـــول النـــاس ممـــا رأوا يـــا عجبـــا للميـــــت الناشـــــر

ومن أغرب ما روي في (الصدى) ما رواه أبو علي مـــن أن ليلـــى الأخيلية مرت مع زوجها في بعض نجعهم بالموضع الذي فيه قـــبر توبـــة، وكانت متزوجة في بني الألكح بن عبادة بن عقيل، فقال لها زوجها: لا بدّ أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمي عليه؛ حتى أرى هل يجيب صداه – كما زعم – حيث يقول:

ولو أن ليلـــى الأخيليـــة ســـلمت علـــيّ، ودوني جنـــدل وصـــفائح
لسلمت تسليم البشاشة..أو زفـــا إليها صدى من جانب القـــبر صـــائح

فقالت له: وما تريد من رمّة وأحجار؟! فقال: لا بدّ مـــن ذلـــك، فعدل بها عن الطريق إلى القبر، وذلك في يوم قائظ، فلما دنت راحلتها من القبر، ورفعت صوتها بالسلام عليه، إذا بطائر قد استظل بحجارة القبر مـــن فيح الهاجرة، فطار، فنفرت راحلتها ووقعت، فماتت!

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن: البلاء موكل بـــالنطق. كمـــا يروى أن أحد المولعين بالخمر قال:

إذا مت فادفني إلى جانـــب كرمـــة تروي عظـــامي في الممـــات عروقهـــا
ولا تـــدفنوني في الفـــلاة فـــإنني أخـــاف إذا مـــا مـــت ألا أذوقهـــا

وبعد حين من ذلك، مات ذلك المولع بالخمر، وزار قبره ذاكرٌ لـــه فإذا هو عليه عريش، فتعجب من ذلك!

عبيد الله بن طاهر وجاريته

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج – قال: أخبرنا أبـو العباس المبرد قال: دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وقد فصد، فظننت أن ذلك لعلة، فأكثرت له من الدعاء، فقال: خفِّض عليك أبا العباس، فليس ذلك لعلة، وانظر ما تحت البساط، فنظرت فإذا رقعة فيها:

حلف الظريف بقطعه يده إن مس من يهواه بالألم
حتى إذا ضاق الفضاء به جعل الفصاد تحلة القسم

قلت: حسن أيها الأمير، فما سببه؟ قال: مددت البارحة يدي إلى إحدى الجواري بالضرب، فألمت لما نالها من الألم، فحلفت بقطع يدي، فأُفتيت بالفصد، ففعلت، وأنشدنا الأخفش لأبي نواس:

ما بال قلبك لا يقر خفوقا وأراك ترعى النجم والعيوقا
وجفون عينك قد نثرن من البكا فوق المدامع لؤلؤا وعقيقا
لو لم يكن إنسان عينك سابحا في بحر دمعته لمات غريقا

بحر هوى ليس له شطّ

أخبرنا أبو بكر محمد بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكيّ، وبين يديه جارية يقال لها: خنساء، وكانت شاعرة ظريفة، فقال له: اعبث بها، فأنشأ يقول:

خنساء خنساء وحتى متى يرتفع الناس وتنحط
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دقتي خيط

فقالت خنساء:

وكيف منجاي وقد حل بي ... بحر هوى ليس له شط
يدركك الوصل فتنجو به ... أو يقع الهجر فتنحط

حب زينب بنت إسحاق النصران

من فوائد الرضيّ الشاطبيّ المذكور، ما ذكره أبو حيان في الحب قال: وهو من غريب ما أنشدنا الإمام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لزينب بنت إسحاق النصراني:

عدي وتيم لا أحاول ذكرهم ... بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه ... إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون: ما بال النصارى تحبهم ... وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم: إني لأحسب حبهم ... سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

التائب من الحب

قال الحجازي[(١٨)]: قال عبد الوارث: كان فيمن يقرأ عليَّ مملوك مليح الوجه، رضيّ الخلق، حاد الذكاء. فخلوت به يومًا، وداعبته بعبارات تنبئ عن شدة شغفي به، فقال لي: حذار أن تعود لمثل هذا الكلام، فللجدران آذان، ورب عثرة لسان أودت بإنسان .. ولكن إذا لم تستطع الكتمان، فاكتب لي ما تحب أن تقوله في ورقة فتكون في أمان واطمئنان.
قال: فلما سمعت ذلك منه تمكن الطمع مني، وكتبت في ورقة:

---

(١٨) في نفح الطيب ج ٢ص ٩٥٢ .

يا من له حسن يفوق به الــورى   صــل هائمــا قــد ظــل فيــك محــيرا
وامنن علــي بــساعة في خلــوة   إن كنــت تطمــع في الهــوى أن تــؤجرا

وكتبت تحت البيتين كلامًا كثيرًا في هذا المعنى، ثم دفعت إليه الورقة خلسةً.

فلما حصلت الورقة عنده كتب إليّ في غيرها: إنك لتعلم أني مـن بيت عريق في التقوى، وسأبقي عندي خطك شاهدًا على ما فرط منـك، ولئن لم تنته لأطلعن عليها أبي وغيره؛ فتصيبك فضيحة الأبد.

أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحدًا أبدًا.

فلما وقفت على خطه علمت قدر ما وقعت فيه، وجعلتُ أرغـب إليه في أن يرُدّ الرقعة إليّ، فأبى وقال: هي عندي رهن على وفائـك بـألا ترجع إلى التكلم في ذلك الشأن.

ولم يسعني إلا أن امتثلت، وتبت عن مثل هذه المداعبات.

الحب والجمال

حب امتداح النساء

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء، عن براءة في القصد، تحمل في طياقما روحًا لا تؤمن إلا بالواقع، مهما يكلفه ما قصد إليه، دون أن يقيم لذلك وزنًا في استجلاب مرضاة أحدٍ، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين، فمن وسائط قلائده:

مضت الشيبة والحبيبة فالتقى	دمعان في الأجفان يزدحمان
ما أنصفتني الحادثات رميتني	بمودعين، وليس لي قلبان

وقوله من أخرى:

قلت للعين حين شامت جمالا	من بروق كواذب الإيماض
لا يغرنك هذه الاوجه الغر	فيارب حية في رياض

وقوله من أخرى أيضًا:

خليليّ عهدي بالليالي صوافيا	فما بالها أبدلن جيما بصادها؟
ولا تحسبا عيشي علي فإنني	أؤرخ يوم الموت يوم افتقادها
ولست أحب الضوء إلا لوجهها	ولا البدر إلا طالعا من بلادها
ولو أنني أنصفتها ورعيتها	لسار فؤادي في طريق فؤادها
خليلي ما أبصرتما مثل أدمعي	نفدت وحق الله قبل نفادها

وقال بعض الحكماء: ما آنس الإنسان، ولا عمّر المكان، ولا سلى الأحزان، ولا أعان على الزمان مثل البيض العوان.

وفي كتاب مسلم، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة".

وفي كتاب «الأربعين» للثقفي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سئل النبي – صلى الله عليه وسلم: "أي النساء خير"؟ فقال: "التي تسره إذا نظر، ولا تعصيه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها، ولا ماله".

وفي «الشهاب»:«النظر إلى المرأة الحسناء يزيد في البصر» ولله در أبي نواس إذ، يقول:

يزيدك وجهه حسنا ... إذا ما زدته نظرا

وقال شاعر آخر:

ويقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا

وقال غيره:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

أعرابي يصف امرأة

قال العتبي[1]: سمعت أعرابيًّا يصف امرأة فقال: بيضاء جعدة، لا يمس الثوب منها إلا مشاشة كتفيها، وحلمة ثدييها، ورضفي ركبتيها، وجانبي أليَتيها، وأنشد:

---

(١) في العقد الفريد ج ٢ص ١١٥

أبت الروادف والثـــدي لقمــصها   مـــس البطـــون وأن تمـــس ظهـــورا
وإذا الرياح مع العشي تناوحـــت   نبـــهن حاســـدة وهجـــن غيـــورا

وقال آخر: ليت فلانة حظي من أملي، ولرب يومسرتُه إليها حتى قـــبض الليل بصري دونها، وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفي الظماء.

وذكر أعرابي امرأة فقال: تلك شمس باهت بها الأرضُ شمس سمائها، وليس لي شفيع في اقتضائها، وإن نفسي لكتوم لدائها، ولكنها تفيض عند امتلائها. أخذ هذا المعنى حبيب فقال:

ويا شمس أرضـــيها الـــتي تم نورهـــا   فباهت بها الأرضـــون شمـــس سمائهـــا
شكوت وما الشكوى لمثلـــي عـــادة   ولكن تفيض الـــنفس عنـــد امتلائهـــا

وقيل لأعرابي: ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم؟ قـــال: نعم، كان الحب في القلب، فانتقل إلى المعدة، إن أطعمته شيئًا أحبـــها، وإلا فلا. كان الرجل إذا أحب امرأة ظل حولًا يطوف بدارها، ويفرح إن رأى من رآها، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار، وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه، ويعدها وتعده، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبًّـــا، ولم ينـــشدا شعرًا.

وقال أعرابي يشكو لوعة الحب وكتمانه وصبره على من يحبه، ولا يطيق سلوانه:

شكوت فقالت: كـــل هـــذا تبرمـــا   بحـــبي أراح الله قلبـــك مـــن حـــبي
فلما كتمت الحب قالت: لـــشد مـــا   صبرت ومـــا بفعـــل شـــجى القلـــب
وأدنـــو فتقـــصيني فأبعـــد طالبـــا   رضاها فتعتـــد التباعـــد مـــن ذنـــبي
فشكواي تؤذيها، وصبري يـــسوءها   وتجزع من بُعدي وتنفـــر مـــن قـــربي

فيا قوم هل مـــن حيلـــة تعلموهـــا؟ أسيروا بها واســـتجيبوا الـــشكرمن ربي

الوصف بعد المشاهدة[٢]

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجـــاني بروائـــع الكلم في نظم الشعر، واتخذ لنفسه طرائق سهلة، غاية في البساطة، فكـــان يسمو بوصف ما أحسّ به، واستساغه، ويكسوه من رقة المعاني أسلوبًا جميلًا يقرّبه إلى الفهم، حتى يتذوق أنغامه المستمع شرابًا عذبًا سلسبيلًا، ويملأ به المحزون صدره نسيمًا صافيًا عليلًا، ومن بدائع طُرَفِه قوله:

أفـــدي الـــذي قـــال وفي كفـــه مثـــل الـــذي أشـــرب مـــن فيـــه

الـــورد: قـــد أينـــع في وجـــنتي قلـــت: فمـــي بـــاللثم يجنيـــه

وقوله، ولم أسمع في التعريض بالالتحاء أحسن منه:

قـــد بـــرّح الحـــب بمـــشتافك فأولـــــه أحـــــسن أخلاقـــــك

لا تجفـــه وارع لـــه حقـــه فإنـــــه آخـــــر عـــــشاقك

وقوله في فصد الحبيب:

يا ليـــت عـــيني تحملـــت ألمـــك وليت نفـــسي تقـــسمت ســـقمك

وليت كف الطبيـــب إذ فـــصدت عرقك أجرت مـــن نـــاظري دمـــك

أعرتـــه صـــبغ وجنتيـــك كمـــا تعـــيره إن لثمـــت مـــن لثمـــك

طرفك أمضى من حـــد مبـــضعه فالحظ بـــه العـــرق واغتـــنم ألمـــك

(٢) في خاص الخاصل لثعالبي.

وقوله من قصيدة أولها:

من أين للعارض الساري تلهبه وكيف طبق وجه الأرض صيِّبه
هل استعان جفوني فهي تنجده أم استعار فؤادي فهو يلهبه

ومنها:

بجانب الكرم من بغداد لي قمر لولا التجمل ما أنفك أندبه
وصاحب ما صاحبت الدهر من دياره وأراني لست أصحبه
في كل يوم لعيني ما يؤرقها من ذكره ولقلبي ما يعذبه
وما البعاد دهاني،بل خلائفه ولا الفراق شجعان، بل تجنبه

وله أيضًا:

وقالوا اضطراب في الأرض فالرزق أوسع فقلت: ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حر يعينني ولم يك لي كسب فمن أين أرزق؟

أسنانُ النساء[٣]

قال أبو الحسن الأخفش: من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء – وإن كان شعرًا ضعيفًا – قول ضمرة للنعمان بن المنذر، وقد سأله وصف النساء:

متى تلقَ بنت العشر قد نُصَّ ثديُها كلؤلؤة الغواص يهتَزُّ جيدها
تجد لذةً منها لخفة روحها وغِرَّتَها والحسنُ بعد يزيدها
وصاحبةُ العشرين لا شيء مثلُها فتلكَ التي تلهو بها وتُريدها
وبنت الثلاثينَ الشفاءُ حديثُها هي العيشُ ما رقّت ولا دقّ عودُها

(٣) في أمالي أبي القاسم الزجاجي.

وإن تلـــقَ بنـــت الأربعـــين فغبطـــةٌ	وخـــيرُ النـــساء ودُّهـــا وَوَلُودُهـــا
وصــــاحِبة الخمـــسين فيهـــا بقيـــةٌ	من الباه واللذاتِ صُـــلبٌ عمودُهـــا
وصـــاحبة الـــستين لا خـــير عنـــدها	وفيهـــا ضـــيا عٌ والحـــريصُ يريـــدُها
وصاحبِة الـــسبعين إن تُلـــفَ مُعرِســاً	عليهـــا فـــتلكم خَزيـــةٌ يـــستفيدها
وذات الثمـــانين الـــتي قـــد تجلَّلَـــت	مـــن الكبَـــرِ الفـــاني وقُـــدَّ دريـــدُها
وَصاحِبة التِّـــسعين يُـــرعَشُ رأسُـــها	وبالليـــلِ مقـــلاقٌ قليـــلٌ هجودُهـــا
وَمن طالع الأخرى فقد ضـــلَّ عقلُهـــا	وتحـــسبُ أنَّ النـــاس طُـــرّاً عبيـــدُها

دارة يلعب فيها البدر[٤]

عرف الشيخ سعيد السمان الدمشقي، بحبّ الجمـــال، وشـــغف بتصوير ما يعشق تصويرًا حساسًا، ومن قوله مضمنًا مصراعه الأخير:

يـــا رب ظـــبي كالمـــدام حديثـــه	فيـــسيغه سمعـــي وعقلـــي يطـــرب
قد دخلته شمـــس النـــهار بكفـــه	مـــرآة حـــسن لونهـــا يتـــذهب
والوجـــه فيهـــا لائـــح فكأنهـــا	هـــي دارة والبـــدر فيهـــا يلعـــب

وقال العالم أحمد المتيني، مضمنًا نفس المصراع:

عاتبتـــه وكأنـــه مـــن لطفـــه	راح تكاد لهـــا اللـــواحظ تـــشرب
بالعقل والشطرنج يلعـــب وهـــو في	فـــسطاط حـــسن للمـــسرة يجلـــب
يحكـــي الزمـــرد خـــضرة فكأنمـــا	هـــي دارة والبـــدر فيهـــا يلعـــب

المرأة والطيب[٥]

يحملن أترجة نـــضخ العـــبير بهـــا	كـــأن تطيابهـــا في الأنـــف مـــشموم

(٤) في سلك الدرر ج ١ص ٢٠٨.

(٥) في الاقتضاب ص ٣٨٢.

الأترُجَّة هنا: كناية عن المرأة شبهها بها في طيب رائحتها، وما في لونها من الصفرة وكانت العرب تكره بياضاللون المُفرط، ولذلك كانوا يعيبون قول الأعشى:

ومن كل بيضاء رعبوبة　　لها بش ناصع كاللبن

وكانوا يستحسنون قول ذي الرمة:

صفراء في نعج بيضاء في دعج　　كأنها فضة قد مسها ذهب

نتف الوجه بالخيط[٦]

قال الناظم: لما استقر بنا المقام، بين إقدام وإحجام، ودفعنا الحنين إلى ما يُحمَد عقباه، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيد رحمه الله:

فلما مضى شهر وعشر لعيرها　　وقالوا: يجيء الآن قد حان حينها
أمرت من الكتان خيطا وأرسلت　　جريا إلى أخرى قريبا تعينها

هذه امرأة تنتظر عيرًا تقدم وزوجها فيها، فأرادت أن تنتف وجهها بالخيط وتتهيأ له. والجري: الرسول. يقول: أرسلته إلى جارة لها تستعين بها في نتف وجهها بالخيط للتزيُّن. وبعد هذا سار مسترسلًا معبّرًا عن الخيط بالسلك؛ لأنه أقرب إلى المعنى، وأسلس في المبنى، فقال:

فما زال يجري السلك في حر وجهها　　وجبهتها حتى ثنته قرونها

ثنته: كفّته. وقرونها: ذوائبها، ومنه قول مجنون ليلى لزوجها:

بربك هل ضممت إليك ليلى　　قبيل الصبح أو قبلت فاها؟

---

(٦) في أمالي القالي ج ١ص ١٩٨.

وهل رفت عليك قـرون ليلـى   رفيـف الأقحوانـة في شـذاها

تشبيه المرأة ببدر السماء

بـدت لمـيس كأنها   بـدر السـماء إذا تبـدى

قوله: «كأنها بدر السماء» في موضع الحال للمـرأة، أي: بـدت مشبهة البدر، و«إذا تبدّى» ظرفٌ لما دل عليه كأن من معنى الفعـل، أي: برزت هذه المرأة كاشفة عن وجهها، كأنها قد أرسلت نقابها، ودل علـى هذا بقوله: «كأنها بدر السماء إذا تبدى»، وإنما فعلت ذلك إما للتـشبيه بالإماء حتى تأمن السباء، أو لما تدَاخلها من الرعب. ومثلُه قول الشاعر:

ونسوتكم في الروع باد وجوههـا   يخلـن إمـاء، والإمـاء حرائـر

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة

ذكر المبرد عن أبي كامل، عن إسحاق بن إبراهيم، عن رجاء بـن عمرو النخعي قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والاجتهاد، فنزل في جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهن جميلة، فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل به، فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسمّاة لابن عمّ لها، فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى، أرسـلت إليه الجارية: قد بلغنى شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك، فـإن شـئت زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتي إلى منزلي. فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخَلتين؛ ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، أخاف نارًا لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهيبها.

فلما أبلغها الرسول قوله، قالت: وأراه مع هذا يخاف لله، والله مـــا أحد أحق بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الـــدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، وجعلت تتعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبًّا للفتى وشوقًا إليه حتى ماتت من ذلك، فكان الفتى يأتي قبرها فيبكـــي عنده، ويدعو لها؛ فغلبته عينه ذات يوم على قبرها، فرآهـــا في منامـــه في أحسن منظر، فقال لها: كيف أنت وما لقيت؟ قالت:

نعم المحبـــة يـــا ســـؤلي محبـــتكم   حـــب يقـــود إلى خـــير وإحـــسان

فقال: على ذلك إلامصرت؟ فقالت:

إلى نعـــيم وعـــيش ولا زوال لـــه   في جنة الخلد ملـــك لـــيس بالفـــاني

فقال لها: اذكريني هناك، فإني لست أنساك. فقالت: ولا أنـــا والله أنساك، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا، فـــأعني علـــى ذلـــك بالاجتهاد. فقال لها: متى أراك؟ فقالت: ستأتينا عن قريب فترانا. فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات رحمه الله.

وذكر الزبير بن بكار أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة، وكان من عباد أهلها، فسمِّي القس من عبادته، فمر يوما بجارية تغـــني، فوقـــف فسمع غناءها فرآه مولاها، فأمر أن يدخل عليها فأبى، فقال له: فاقعـــد في مكان تسمع غناءها ولا تراها. ففعل فأعجبته، فقال له مولاها: هل لك أن أحولها إليك؟ فامتنع بعض الامتناع، ثم أجابه إلى ذلك. فنظر إليها فأعجبته، فشغف بها وشغفت به.

وعلم بذلك أهل مكة، فقالت له ذات يوم: أنا والله أحبك، فقال: وأنا والله أحب ذلك. قالت: فما يمنعك؟ فإن الموضع خال! قال لها: ويحك،

إني سمعت لله يقول: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة، ثم نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبها!

تكني المرأة بالشاة أو البيضة[٧]

خرج الرشيد في بعض أسفاره، فأخرج معه أخته عُليَّة، وكان قد بلغه أنها تعجب بغلام له اسمه «رَشَا» فأبعده، وقيل قتله، ثم إنها علقت من بعده غلامًا آخر اسمه «طَلّ»، فكانت تكثر من ذكرها له. فقال لها الرشيد: والله لئن ذكرته لأقتلنك، فدخل عليها يومًا على حين غفلة وهي تقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، فلما شعرت به قرأت أول الآية: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾، ثم أمسكت حتى لا تذكر اسم (طل)، وأكملت قائلة: «فإن لم يصبها وابل ... فالذي نهى عنه أمير المؤمنين»؛ فابتسم الرشيد، وقال لها: «ولا هذا أيضًا يا أُخَيّة».

وقيل: إنه أخرج ذلك الغلام من قصره؛ فطار قلبها حزنًا لفراقه، وقالت:

أيا سرحة البستان طال تشوقي ... فهل لي إلى ظلٍّ إليك سبيل؟
متى يشتفي من ليس خروجه ... وليس لمن يهوى إليه دخول

فانظر كيف ورّت «بظلٍّ عن طلٍّ» بعد أن قدمت ذكر السرحة – وهي الشجرة – لتتمكن من لفظة ظلٍّ فتبعد التهمة. وكثيرًا ما تذكر العرب لفظة السرحة أو الشاة أو البيضة أو القلوص، وهي الشابة من الإبل، وتكنّى بذلك عن المرأة.

(٧) في سناء المهتدي ص ١٩٣.

وكانت أم حكيم من أجمل نساء وقتها، ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهة، خطبها جماعة من أشراف الخوارج فردَّهم، وكانت مع أمير الخوارج قطريّ بن الفجاءة، في جند (الأباضية)، فكانت ترتجز في تلك الحروب وتقول:

أحمل رأسا قد سئمت حمله ألا فتى يحمل عني ثقله

ألا فتى يحمل عني ثقله

والخوارج يفدونها بالآباء والأمهات، وكان «قطري» يُشبّب بها، وفيها يقول في وقعة دُولاب، وهو من رقيق الغزل:

لَعَمرُكَ إنّي في الحَياة لَزاهدٌ وَفي العَيش ما لَم أَلقَ أُمَّ حَكيمِ
منَ الخَفَرات البيض لَم يُرَ مثلُها شفاءً لِذي بَثٍّ وَلا لِسَقيمِ
لَعَمرُكَ إنّي يَومَ دولابَ أَبصَرَت على نائبات الدهر جد لئيم
وَلَو شَهدَتني يَومَ دولابَ أَبصَرَت طعانَ فَتىً في الحَرب غَيرَ ذَميمِ
غَداةَ طَفَت عَلماءِ بَكرُ بنُ وائلٍ وَعُجنا صُدورَ الخَيلِ نَحوَ تَميمِ
فَلَم أَرَ يَوماً كانَ أَكثَرَ مَقعَصاً يَمُجُّ دَماً من فائظ وَكَليمِ
وَضاربَة خَداً كَريماً عَلى فَتىً أَغَرَّ نَجيبُ الأُمَّهاتِ كَريمِ
أُصيبَ بدولابٍ وَلَم تَكُ مَوطناً لَهُ أَرضُ دولاب وَديرَ حَميمِ
فَلَو شَهِدَتنا يَومَ ذاكَ وَخَيلُنا تُبيحُ منَ الكُفّارِ كُلَّ حَريمِ
رَأَيتُ فتيَةً باعوا الإِلهَ نُفوسَهُم بِجَنّاتِ عَدنٍ عِندَهُ وَنَعيم

أسماء النساء(٨)

ولابن الوردي في «أسما»:

(٨) الجزء رقم ٩٤٨ شعر تيمور.

أرى أسما إذا غضبت وصدّت   أكاد من الغرام أموت سقما
وإن هي واصلتني طاب قلبي   كأني بتُّ أوقيه بأسما

وفيها أيضًا:

قد لامني في حب أسما عاذل   أجرى مدامع مقلتي بدما
فاعجب لمجرى مدامع أوقفتها   من فعل ذاك الحرف في أسما

وفي آمنة:

قد وعدتني بالوفا آمنة   وقد غدت بالرضا آمنه
كيف يخاف القلب من بينها   ومهجتي أضحت بها آمنه

وفيها أيضًا:

هيفاء كالغصن الرطيب قوامها   محبتها في لجة القلب كامنه
تهددني بالهجر في الوصل عامدا   فأصبح منها خائفا وهي آمنه

وللأزهري في أنَس:

آنست بالوصل مذ جاءت به أنس   يوما وعاذلها قد باء بالخرس
عن مالك قد روى نيران وجنتها   لكن حديث اللقا أرويه عن أنس

وله في حليمة:

قالوا حليمة صبحت   بفرط وجدي عليمه
لم لا ترق لحالي   في الحب وهي حليمه

وفي خديجة:

خديجة قد سبتني   بنار خد وهيجه
وكانت الروح تقسو   والآن روحي خديجه

وفيها أيضًا:

تعشق في الهوى قلبي فتاة   تزين البدر ذو حسن بهيجه
أموت بحبها شوقا وأحيا   إذا ناديت يا ستي خديجه

وفي زينب:

وعرّض بذكرى حين تسمع زينب   وقل ليس يخلو ساعة منك آله
عساها ذكري بسمعها   تقول فلان عندكم كيف حاله؟

وفي سلمى:

لسلمى من لواحظها سهام   لها في القلب فتك أيّ فتك
إذا رامت تشك به فؤادا   يموت المستهام بغير شك

وفي عائشة:

أيا دهر خبرني واشفني   فسهام فكري في أموري طايشه
أيحل أني في المحبة ميت   وحبيبتي من بعد موتي عايشه

وفيها أيضًا:

شغل القلب بقد أهيف   تركت منه العوالي طايشه
أنت دعني أن أمت في حبها   ثم دعها بعد عيني عايشه

وفي فاطمة:

فاطمة مذ كنت طفلا بها   متُّ جوى وهي بذا عالمه
كم أرضعتني وصلها بالهنا   ثم انثنت لي فاطمه

وفيها أيضًا:

هيفاء كالغصن لها قامة   عادلة مع أنها ظالمه

قد أرضعت طفل الهوى مرة بوصلها ثم انثنت فاطمه

وفيها أيضًا:

قاتلتي قد أصبحت والبحر منها كاظمة
ناديتها يا مهجتي ما الاسم؟ قالت: فاطمه

وللأزهري في نفيسة:

نفيسة بالبها ملكت فؤادي وأضحت في ملا حتها رئيسة
وقد حازت لفرط سنا بهاها وذات الحسن مرتبة نفيسه

ولابن الجميل في عالمة:

عالمة عالمة بالجفاء قامتها عادلة ظالمه
قلت لها: هل تعلمين الذي ألقاه قالت: إنني عالمه

وله أيضًا فيها:

عالمة لها على كرسيها فضل جسيم
وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم

ولابن الوردي في قابلة:

أقول لقابلة أدمعي على حبها تقطع السابله
أنا رجل مقبل للقا قالت: وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة:

كاتبة توقيع نسخ الجفا يصدر عن سمتها الراحمه

تكـــتم أســـرار رقـــاعي لهـــا   أحـــسن بهـــا كاتبـــة كاتمـــه

وله في فقيهة:

تفقهـــــــت في عـــــــذابي   وبالغـــــــت في جـــــــدالي
خـــــود تـــــسيط غرامـــــي   عـــــن طرفهـــــا الغـــــزالي

وللأزهري في خياطة:

أحببتـــــها كالبـــــدر خياطـــــة   منزلهـــا في القلـــب والطـــرف
في ركوب الفـــرج مـــن وصـــلها   وللرقيـــــب الـــــشلّ بـــــالكف

وله في عجانة:

كلـــف الفـــؤاد بظبيـــة عجانـــة   ما كنت يوما آمنـــا مـــن هجرهـــا
عجنت فؤادي بـــالغرام فماؤهـــا   من أدمعي وقيقهـــا مـــن خـــصرها

وله في جبانة، أي بائعة الجبن:

بايعـــة جـــبن مـــذ همـــت بهـــا   رأى الورى من روحـــي بهـــا تعبانـــه
وكل أهـــل الحـــي قـــد تحققـــوا   بـــــأنني أمـــــوت في الجبانـــــه

وله في مسحرة:

عجبت في رمضان من مـــسحرة   بديعـــة الحـــسن إلا أنهـــا ابتـــدعت
جاءت تسحرنا يوما فقلت لهـــا   كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

ولابن الورديّ في رومية:

روميـــة الأصـــل لهـــا مقلـــة   تركيـــــة صـــــارمها هنـــــدي

تفــضحني وجنتـــها فـــاعجبوا   مـــن وجنـــة فاضـــحة الـــوردي

وله في مصريّة:

مـــــصرية كأنهـــــا البـــــدر   فجـــــــل مـــــــن خَلَـــــــق
تملقـــــــــني مكـــــــــرا ولا   ينكـــــر مـــــن مـــــصر الملَـــــق

وله في شاميّة:

شـــــامية شـــــامة بوجنتـــــها   يـــــرقّ لي في حبـــــها الـــــشامة
أخشى مـــن الملامـــة إذا قبلتـــها   فـــشوم بخـــتي ينطـــق الـــصامت

وله في بدوية:

وبي من البدو كحلاء الجفون بدت   في قومهـــا كمهـــاة بـــين آســـاد
فلو بدت الحسان الحضر فقمن لها   على رؤوس وكان الفضل للبـــادي

وله في عراقية:

بي هيفـــاء مـــن بنـــات العـــرق   أطلقـــت أدمعـــي وشـــدت وثـــاقي
ثم قالت: أتيت مـــن بـــاب أبـــرز   بالعطايـــا رأيـــت بـــاب الطـــاق

وله في مشرقيّة:

جـــاءت مـــن المـــشرق لا مالنـــا   في عينـــها شـــيء ولا جانـــا هنـــا
وقالت: أحـــذر يـــا فـــتى فتنـــة   للنـــاس والفتنـــة مـــن هـــا هنـــا

وله في مغربية:

يا بنات الشرق حـــاذرن الـــسطا   إن بنـــــت الغـــــرب في موكبـــــها
ما ظهـــر البـــدر مـــن مـــشرقه   كطلـــوع الـــشمس مـــن مغربهـــا

وللأزهري في مجوسية:

عابـــدة النـــور ســـنا نورهـــا   أوضـــح لي في الحـــب أعـــذارا
قـــد أحرقـــت قلـــبي بهجرانهـــا   فالويـــل ممـــن يعبـــد النـــارا

وله في نصرانية:

زنـــــار بنـــــت النـــــصارى   فـــــخٌّ لهـــــا أي فـــــخ
رجـــــائي الـــــشد منـــــه   وكثـــــرة الـــــشد ترخـــــي

وقال آخر في مليحة تلعب الشطرنج:

لاعبتـــها الـــشطرنج ثم ضـــربتها   بـــالرخ شـــاة تـــسترت بالفيـــل
قالت: فنفسك، قلت: حـــصنتها   لكن خذي فرســـي هنـــاك وفيلـــي

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما[1]

قيل لأبي السائب المخزومي: أترى أحدًا لا يشتهي النسيب؟

فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا!

والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد.

قيل: الغزل هو إلف النساء والتخلق بما يــوافقهن، فمـــن جعله بمعنى التغزُّل فقد أخطأ. وقد نبه على ذلك، «قُدّامة» وأوضحه في كتابه «نقد الشعر».

وقال الحاتميّ: من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه، أن يكـــون ممزوجًا بما بعده من مدح أو ذم، متصلًا به غير منفصل منه، فإن القـــصيدة مثلها مثل خَلْق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد من الآخر وباينه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة تتخـــوَّن محاســـنه وتُعفي معالم جماله.

يا ليل الصبّ متى غده؟[2]

من نوادر الطرائف ما ذكره «ابن بشكوال» في كتاب الصلة، كما ذكره الحميدي أيضًا، وهو: كان أبو الحسن علي الحصري القيرواني ابـــن

(١) في العمدة، لابن رشيق ج ٢ص ٩٤

(٢) في وفيات الأعيان، لابن خلكان ج ١ص ٤٣٢

خالة أبي اسحاق صاحب «زهر الآداب» حافظًا فاقهًا، وأديبًا عالمًا بالقراءات وطرقها.

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في وغيرها «سبتة»، وله قصيدة نظمها في قراءات نافع عدد أبياها مائتان وتسعة، وله ديوان شعر، ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة التي أوّلها:

يا ليل الصب متى غده	أقيام الساعة موعده

وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكناني أبو الفضائل المعروف بالقمراوي – رحمه الله – بأبيات من جملتها:

قد مل مريضك عوده	ورثى لأسيرك حسده
لم يبق جفاك سوى نفس	زفرات الشوق وتصعده
هاروت يعنعن في السحر	إلى عينيك ويسنده
وإذا أغمدت اللحظ فتكت	فكيف وأنت تجرده
كم سهل خدك وجه رضا	والحاجب منك يعقده
ما أشرك فيك القلب فكم	في نار الهجر يخلده

أما قصيدة أبي الحسن على الحصري القيراواني فهي:

يا ليل الصب متى غده؟	أقيام الساعة موعده
رقد السمار فأرقه	أسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له	مما يرعاه ويرصده
كلف بغزال ذى هيف	خوف الواشين يشرده
نصبت عيناى له شركا	خوف الواشين يشرده
وكفى عجبا أني قنص	للسرب سباني اغيده

صنم للفتنة منتصب   أهواه ولا أتعبده
صاح والخمر جنى فمه   سكران اللحظ معربده
ينضو من مقلته سيفا   وكأن نعاسا يغمده
فيريق دم العشاق به   والويل لمن يتقلده
كلا لا ذنب لمن قتلت   عيناه ولم تقتل يده
يا من جحدت عيناه دمي   وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمي   فعلام جفونك تجحده
إني لأعيذك من قتلي   وأظنك لا تتعمده
بالله هب المشتاق كرى   فلعل خيالك يسعده
ما ضرك لو داويت ضنى   صب يدنيك وتبعده
لم يبق هواك له رمقا   فليبك عليه عوده
وغدا يقضى أو بعد غد   هل من نظر يتزوده
يا أهل الشوق لنا شرق   بالدمع يفيض مورده
يهوى المشتاق لقاءكمُ   وصروف الدهر تبعده
ما أحلى الوصل وأعذبه   لولا الأيام تنكده
بالبين وبالهجران فيا   لفؤادى.. كيف تجلده ؟؟
الحب أعف ذويه أنا   غيري بالباطل يفسده

استحسان وضاءة الوجه(٣)

كان لعزّ الدولة غلام ذكي وضيء الوجه، ولفرط ميله إليه جعله رئيس سرية جردت للحرب، ولم يستحسن المهيلمي ذلك منه، فكتب إليه:

ظبي يرق الماء في   وجناته ويروق عوده
ناطو بمقعد خصره   سيفا ومنطقة تؤوده
جعلوه قائد عسكر   ضاع الرعيل ومن يقوده

(٣) في نفح الطيب.

وكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار المهيلمي!

وفي «خزانة الأدب» للبغدادي ج ٣:

الجارية: جميلة من بعيد، مليحة من قريب، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة، فإذا دنت منك لم تكن كذلك، والمليحة هي التي كلما كرَّرت بصرك منها زادتك حسنًا.

وقيل: الجميلة هي السمينة من الجميل وهو الشحم، والمليحة: هي البيضاء، والصبيحة كذلك، من الصُّبح لبياضه.

وروى أنس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «حسن الوجه مالٌ».

وقال – عليه الصلاة والسلام – أيضًا: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه».

وقال ابن عمر: قال – صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة تجلو البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن».

ونظمها الشاعر فقال:

ثلاثة يذهبن للمرء الحزن　　　الماء والخضرة والوجه الحسن

كواكب لا كواعب

كان عبد العزيز بن سرايا، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق، وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطيع، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء، كما قد أزرى بزهر الأرض في الربيع، تطربك ألفاظه المصقولة، ومعانيه المعسولة، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة، وسيوف مسلولة.

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ، ورحل إلى مصرسنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها: «بأبي الشموس الجانحات غواربا» وفيها، يقول:

أسبَلنَ من فَوق النّهود ذَوائبا ... فجعَلنَ حبّات القُلوب ذَوائبَا
وجَلَونَ من صُبحِ الوُجوه أشعّة ... غادرنَ فودَ الليلِ منها شائبَا
بيضٌ دَعاهنّ الغبيُّ كَواعبا ... ولو استبانَ الرشدَ قالَ كواكبَا
وربائبٌ، فإذا رأيتَ نفارَها ... من بَسطِ أُنسك خلتهنْ رَبارِبَا
سَفَهاً رأينَ المانَويّة عندَما ... أَسلبنَ من ظلم الشعورِ غياهبَا
وسَفَرنَ لي فَرأينَ شَخصاً حاضراً ... شُدهتْ بَصيرَتُه، وقَلباً غائبَا
أشرقنَ في حللٍ كأنّ وميضَها ... شفقٌ تدرَّعُهُ الشموسُ جلابَبا
وغربنَ في كللٍ، فقلتُ لصاحبي: ... بأبي الشموسَ الجانحات غوارِبَا
ومُعَربد اللّحَظات يَثني عطفَهُ ... فُخالُ من مَرَحِ الشّبيبَة شارِبَا
حلو التعتب والدلالِ يروعُهُ ... عَتبي، ولَستُ أراهُ إلاّ عاتبَا
عاتَبتُهُ، فتَضرّجَتْ وجَناتُهُ ... وازوَرّ ألحاظاً وقَطّبَ حاجِبَا
فأذابَني الخَدُّ الكَليمُ وطَرفُه ... ذو النّون، إذْ ذهبَ الغَداةَ مُغاضِبَا
ذو منظرٍ تغدو القلوبُ لحسنه ... نهباً، وإنْ منحَ العيون مواهبَا
لاغرو إنْ وهبَ النواظرَ حظوةً ... من نوره، وغدا لقلبي ناهبا

كل فتاة بأبيها معجبة[٤]

أرجوزة للأغلب العجلي، يقول فيها:

كريمة أخوالها والعصبه ... قبّاء ذات سرة مقعبه

(٤) في خزانة الأدب ج ١

كأنهـــا حقـــة مـــسك مذهبـــه ممكـــورة الأعلـــى رداح الحجبـــه
كأنهـــا حليـــة ســـيف مُذهبـــه أهوى لهـــا شـــيخ شـــديد العـــصبه
ثم انثنـــت بـــه فويـــق الرقبـــه فأعلنـــت بـــصوتها: أن يـــا أبـــه

كل فتاة بأبيها معجبة

أصل بليتي من قد غزاني(٥)

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي السعدي الصقلي المعروف بالقاضي الجليس – ما يدعو إلى الحكمة في غزله – وقد عاش نحوًا من سبعين عامًا، كما تولى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بـــن الخلال، ومن مداعبته:

حيـــــا بتفاحــــــة مخـــــضبة مـــــن شـــــفتي حبـــــه وتـــــيمني
فقلت: مـــا إن رأيـــت مـــشبهها فـــاحمرّ مـــن خجلـــة فكـــذبني

وقال أيضًا:

وأصل بلـــيتي مـــن قـــد غـــزاني مـــن الـــسقم الملـــح بعـــسكرين
طبيـــب طبـــه كغـــراب بـــين يفـــرق بـــين عـــافيتي وبـــيني
أتى الحمى وقد شـــاخت وباخـــت فعـــاد لهـــا الـــشباب بنـــسختين
ودبرهـــــا بتـــــدبير لطيـــــف حكـــاه عـــن سُـــنين أو حـــنين
فكانـــت نوبـــة في كـــل يـــوم فـــــصيّرها بحـــــذف نـــــوبتين

وقال أيضًا:

يـــا وارثـــا عـــن أب وجـــد فـــــضيلة الطـــــب والـــــسداد

---

(٥) في فوات الوفيات.

وحـــاملا رد كـــل نفـــس همـــت عـــن الجـــسم بالبعـــاد
أقسم لـــو قـــد طبيـــب دهـــرا لعـــاد كونـــا بـــلا فـــساد

وقال من جناس بديع:

رب بيض سللن بـــاللحظ بيـــضا مرهفـــات جفـــونهن جفـــون
وخـــدود للـــدمع فيهـــا خـــدود وعيون قـــد فـــاض منـــها عيـــون

وقال أيضًا:

حبـــذا متعـــة الـــشباب يعـــ ـــذر في حبـــها خليـــع العـــذار
إذا بذات الخمـــار أمتـــع ليلـــي وبـــذات الخمـــار ألـــو نهـــاري
والغواني لا عـــن وصال غـــوانٍ والجواري إلى جـــواري جـــواري

تشبيب عمر بن أبي ربيعة

كانت عائشة ابنه طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر مديدة الجسم، مكتنزة اللحم، على جانب وافر من الجمال، حسنة الصورة، وفي خلقهـــا أنفة وعزة وصرامة، حتى أن أبا هريرة رآها يومًا فسبح وقال: كأنها مـــن الحور.

وقد روى أبو الحسن المدائني، عن عمر وأبي طارق بن المبارك، أن عمر بن أبي ربيعة قال يشبب بعائشة ابنة طلحة:

أصبح القلب في الخيـــال رهينـــا مقـــصدا يـــوم فـــارق الظاعنينـــا
لم يـــــرعني إلا الفتـــــاة وإلا دمعهـــا في الـــرداء ســـحا ســـخينا
عجلـــت حمـــة الفـــراق علينـــا برحيـــــل ولم تخـــــف أن تبينـــــا
أنت أهـــوى العبـــاد قربـــا وودا لـــــو تـــــواتين عاشـــــقا محزونـــــا

قاده الطرف يوم مـــر إلى الحيـــــ ــــــن جهـــازا ولم يخـــف أن يحينـــا
وجــــلا بــــرد بركــــة جنــــدي ضـــوء وجـــه يـــضيء للناظرينـــا
فــــإذا ظبيــــة تراعـــي نعاجـــا ومهـــــا بهـــــج المنـــــاظر عينـــــا
قلت: من أنتم؟ فصدت وقالــت أمبـــــدّ ســـــؤالك العالمينـــــا؟
قلـــت: بـــالله ذي الجلالـــة لمـــا إذ تبلـــت الفـــؤاد أن تـــصدقينا
أي مـــن تجمـــع المواســـم أنـــتم فـــــأبيني لنـــــا ولا تكـــــذبينا
نحن من ســـاكني العـــراق وكنـــا قبلـــــها قـــاطنين مكــــة حينـــــا
قد صدقناك أن سألت فمن أنـــــ ـــت عسى أن يجـــر شـــأن شـــؤونا
قد نرى أننـــا عرفنـــاك بالنعــــ ـــــت نظـــن ومـــا قتلنـــا يقينـــا
بــــــسواد الثنيـــــتين وثغـــــر قــــد نــــراه لنــــاظر مــــستبينا

فكانت عائشة تقول: والله ما قلت له هذا وما كلمته قط.

وأنبأنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال: دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته، وقالت: يا أمير المـــؤمنين، مـــر لي بأعوان، فصيّر إليها قومًا يكونون معها، فحجّت ومعها ستون بغلًا عليهـــا الهوادج والرحائل.

صبح المشيب يدل على ليل الشباب[6]

قال الأمير أسامة بن منقذ:

قالوا نهاه الأربعون عـــن الـــصبا وأخـــو المـــشيب يجـــوز ثمـــة يهتـــدي
كم حار في ليل الـــشباب فدلـــه صبح المشيب علـــى الطريـــق الأقـــصد

(٦) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦

وإذا عـــدت ســـني ثم نقـــصتها ومن الهمـــوم فتلـــك ســـاعة مولـــدي

الشاعر الغزال[٧]

من روائع البيان ما حكاه ابن حبان من أن الأمير عبد الرحمن بـــن الحكم المرواني وجه شاعره الغزال إلى ملك الروم؛ فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني، وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني، وسرّ سرورًا عظيمًا، ونال من لدنه ودًّا وتكريمًا، حتى إنه مال إليه، وقرَّبه لديه، فطلـــب منه منادمته، إلا أنه امتنع لما أدرك جلية الأمر، معتذرًا بتحريم الخمر.

فلما أن كان يومًا جالسًا عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليهـــا زينتها، ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسنًا وضـــياء، فمـــا لبث الغزال لا يميل طرفه عنها شغفًا بباهر ما استرعاه منها، وجعل الملـــك يحدّثه وهو لاهٍ عن حديثه؛ فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله، فقـــال له: عرِّفه أني قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فإني لم أر قط مثلها، وأخذ في وصفها، وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حـــتى لكأنما شوّقته إلى لقاء الحور العين، فلما ذكر الترجمان ذلك لملك الروم زاد إعجابه بالشاعر الغزال، كما سُرّت الملكة بوصفه لها.

غزال قد غزا قلبي[٨]

في كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحيـــة أن الغـــزال – وشهرة اسمه «غزال» – أرسِل إلى بلاد المجوس، وقـــد قـــارب الخمـــسين

(٧) في نفح الطيب ج ١ ص ٤٥١

(٨) في نفح الطيب ج ١ ص ٤٥٠

أوتزيد، وقد وخطه الشيب، ولكنه كان مجتمع الأشد، ضـــليع الجـــسم، قسيمًا وسيمًا، فسألته يومًا زوجة الملك، واسمها (تود) عن ســـنه، فقـــال مداعبًا: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيب؟ فقال: وما تنكـــرين مـــن هذا؟ ألم تريْ قط مُهرًا ينتج وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كلفت يـــا قلـــبي هـــوى متعبـــاً	غالبـــت منـــه الـــضغيم الأغلبـــا
إني تعلقـــــــــت مجوســـــــــية	تـــأبى لـــشمس الحـــسن أن تغربـــا
أقـــصى بـــلاد الله في حيـــث لا	يلفـــى إليـــه ذاهـــب مـــذهبا
يا تود يـــا ورد الـــشباب الـــذي	تطلـــع مـــن أزرارهـــا الكوكبـــا
يا بأبي الـــشخص الـــذي لا أرى	أحلـــى علـــى قلـــبي ولا أعـــذبا
إن قلـــت يومـــا إن عـــيني رأت	مـــــشبهه لم أعـــــد أن أكـــــذبا
قالـــت: أرى فوديـــه قـــد نـــورا	دعابـــــة توجـــــب أن أدعبـــــا
فـــات لهـــا: مـــا بالـــه.. إنـــه	قـــد ينـــتج المهـــر كـــذا أشـــهبا
فاستضحكت عجبـــا بقـــولي لهـــا	وإنمـــــا قلـــــت لكـــــي تعجبـــــا

قال: ولما فهمها – الترجمان – شعر «غزال» ضحكت، وأمرته بالخـــضاب فغدا عليها، وقد اختضب وقال:

بكـــرت تحـــسن لي ســـواد خـــضابي	فكـــأن ذاك أعـــادني لـــشبابي
ما الشيب عندي والخـــضاب لواصـــف	إلا كـــشمس جللـــت بـــضباب
تخفـــى قلـــيلا ثم يقـــشعا الـــصبا	فيصير مـــا ســـترت بـــه لـــذهاب
لا تنكـــري وضـــح المـــشيب فإنمـــا	هـــو زهـــرة الأفهـــام والألبـــاب
فلدي مـــا تهـــوين مـــن زهـــو الـــصبا	وطـــــلاوة الأخـــــلاق والآداب

غرام أم جنون

من الشعر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان، وقد كان يهيم بوصف محبوبته، ولم يعين لها اسمًا؛ حتى لا يشهر بها في التشبيب، ولكيلا يعرفها عند العام إلا لمن لمس ودادها من الخاص، وفي الأبيات التي يناجيها بها معان قد جمع فيها حسن التعبير، سحرًا حلالًا، وكان عفيفًا في دقة نظمه، وصفاء تعبيره، فقال:

تمكن مني السقم حتى كأنني	توهم معنى في خفي سؤال
ولو سامحت عيناه في الكرى	لأشكل من طيف الخيال خيالي
سمحت بروحي وهي عندي عزيزة	وجدت بقلبي وهو عندي غالي
وقد خفت أن تقضي عليّ منيتي	ولم أقضِ أوطاري بيوم وصال
وهوّن ما ألقى من الوجد أنه	صدود دلال لا صدود ملال
فلو كان ذاك الصد منه ملالة	شددت عن الدنيا مطيّ رحالي

ثم ما لبث أن استرسل في مواجيده، واستلهم مشاعر أناشيده. فقال:

ما بال قلبك بستين	أبه غرام أم جنون؟
برح الخفاء بما تجن	فأذهب الشك اليقين
حتى مشى بين الجوا	نح والضلوع هوى نفين
وإلى متى قلب المتـ	ـيم في يد البلوى رهين
شخصت له فيك العيو	ن وقسمت فيك الظنون
وسلبت ألباب الورى	بلواحظ فيها فتون
وقوام أغصان الريا	ض وأين تدرك الغصون
الحسن في الأغصان فنٌّ	وهو في هذا فنون
من أين للأغصان ذا	ك الحسن والسحر المبين؟

أم ذلـــك الـــورد الجـــنيّ بخـــــدّه واليـــــاسمين؟

سلعوس وسلعسة[9]

قال إبراهيم بن المهدي: كنت يومًا بحضرة المـأمون، فقالـت لي «عريب» على سبيل العبث: ياسلعوس. فقلت:

أما لعريب أن ترى غير سلعـسه فكوني كما أنت، تكـوني كمؤنـسه

فقال المأمون على الفور:

فإن كثرت منك الأقاويـل لم يكـن هنالـك شـك أن ذلـك وسوسـه

قال إبراهيم: فعجبت من فطنة المأمون. وقلت: كذا – والله – يـا أمـير المؤمنين قدرت، وإياه أردت!

عاتكة بنت معاوية

حدثني الكراني قال: حدثني العمري عن الهيثم بن عـدي، قـال: حدثنا صالح بن حسان، قال: وأخبرني بهذا الخبر محمد بـن خلـف بـن المرزبان، قال: حدثني محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن السري، قـال: حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد، واللفظ لصالح بن حسان، وخبره أتم. قال: حجت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان فنزلت من مكة بذي طوى، فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ أمرت جواريها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها، عليهـا

(٩) في إرشاد الأديب ج ١ ص ١٦٣

شفوف لها، تنظر إلى الطريق، إذ مر بها أبو دهبل الجمحي، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا، فوقف طويلًا ينظر إليها وإلى جمالها، وهي غافلة عنه، فلما فطنت له سترت وجهها، وأمرت بطرح الستر، وشتمته، فقال أبو دهبل:

إني دعاني الحين فاقتادني ... حتى رأيت الظبي بالباب
يا حسنه إذ سبني مدبرا ... مستترا عني بجلباب
سبحان من أوقعها حسرة ... صبت على القلب بأوصاب
يذود عنها إن تطلبتها ... أب لها ليس بوهّاب
أحلها قصرا منيع الذرى ... يحمى بأبواب وحجاب

وقال أيضًا:

طال ليلي وبت كالمحزون ... ومللت الثواء في جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى ... ظن أهلي مرجّمات الظنون
فبكت خشية التفرق جمل ... كبكاء القرين إثر القرين
وهي الزهراء مثل لؤلؤة الغوّ ... اص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتها لم تجدها ... في سناء من المكارم دون
ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ... ـراء تمشي في مرمر مسنون
قبة من مراجل ضربوها ... عند برد الشتاء في قيطون
عن يساري إذا دخلت من البا ... ب وإن كنت خارجاً عن يميني
ولقد قلت إذ تطاول سقمي ... وتقلبت ليلتي في فنون
ليت شعري أمِن هوى طار نومي ... أم براني الباري قصير الجفون

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح

قال ابن بسام[10] كان المعتصم بن صمادح يومًا مع ندمائه، فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرِّفة في أنواع اللعب المطرب من الدك، وحضرأيضًا هناك لاعب مصري ساحر، فكان لعبه حسنًا، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد:

كذا فلتلح قمرا زاهراً	وتجن الهوى ناضراً ناضرا
وسيبك صوب ندى مغدق	أقام لنا هاملا هامرا
وإنَّ لِيَوْمِكَ ذا رَوْنَقاً	منيرا لنور الضحى باهرا
صَبَاحُ كصطباحٍ بإسْفارِهِ	لَحَظْنَا مُحَيَّا العُلا سافِرَا
وأَطْلَعْتَ فيه نجومَ الكُؤوسِ	ومازال كوكبها زاهرا
وأَسْمَعْتَنَا لاحناً فاتناً	وأحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفرف فوقَ رؤوس القِيانِ	فَتَنْظُرُ ما يُذْهِلُ النَّاظِرَا
وَيَخْطِفُها ذَيْلُ سِرْبَالِهِ	فتبصر طالعها غائرا
فظاهرها ينثني باطناً	وباطنها ينثني ظاهرا
وَثَنَّاهُ ثانٍ لألعابه	دقائقُ تَثْني الحِجَى حائرَا
وفي قَيِّمِ الرّاحِ مِنْ سِحْرِهِ	خَوَاطِرُ وَلَّهَتِ الخاطِرَا
إذا ورد اللحظ أثناها	فما الوهم عن وردها صادرا
وسروك يجتذب الغرباتِ	ويجعلُ غائبَها حَاضِرَا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان

أهدى المنذر الأكبر[11] إلى أنو شروان، جارية كان قد أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني، وكتب إلى أنو شروان يصفها فقال:

---

(١٠) نفح الطيب ج ٢ ص ٨١٦

(١١) في الأغاني ج ٢ ص ٢٩

إني قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق، نقية اللون والثغـــر، بيضاء قمراء، وطفاء كحلاء، دعجاء عيناء، قنواء شماء، برجـــاء زجّـــاء، أسيلة الخد، شهية المقبل، جثلة الشعر، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعـــضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، ضامرة البطن، خميصة الخـــصر، غرثى الوشاح، رداح الإقبال، رابية الكفل، لفاء الفخذين، رياء الروادف، ضخمة المأكمتين، مفعمة الساق، مشبعة الخلخال، لطيفة الكعب والقـــدم، قطوف المشي، مكسال الضحى، بضّة المتجرد، وهي سموع للسيد، ليست بخنساء ولا سفعاء، دقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تغد في بـــؤس، رزينـــة حليمة، ركينة، كريمة الخال، تقتصر على نـــسب أبيهـــا دون فـــصيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صـــناع الكفـــين، قطيعـــة اللسان، رهوة الصوت، ساكنة، تزين الوليّ، وتشين العـــدو، إن أردتهـــا اشتهت، وإن تركتها انتهت.

فارس عربي جميل

حكى محمد بن إسحاق[١٢] قال: كنت مشغولًا بأخبـــار العـــرب وأشعارها، وأذكر أنها من أغرب الأشعار، وأميل إلى ذكر أيـــام العـــرب، وأحب أن أسمعها وأجمعها، فنزل علينا في بعض الأيام فتيان من بني ثعلبـــة، فذهبت إليهم لأسمع من أشعارهم، وأجمع من أخبارهم، فمـــررت بفنـــاء

(١٢) في العزيز المحلى ص ٧٦٢

خيمة، وإذا غلام ما رأيت مثله قط حسنًا وجمالًا، له ذؤابتان كأنهما السِّبح المنظوم، تحت ذلك وجه كالقمر ليلة تمه، وعنده امرأة أحسن منه وأجمل، وأكثر ما أسمع من كلامها (يا بني)، وهو يبتسم لها، وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعب عذراء، ولا يرد لها جوابًا من الاستحياء؛ فاستحسنت ما رأيت منهما، فدنوت من الخباء، فبصرت المرأة بي، ثم قالت لي: يا حضري، ما حاجتك؟ فقلت: لا حاجة لي إلا الذي استحسنت منك ومن هذا الغلام. فقالت: أتحب أن أسمعك شيئًا من خبره، وهو خير لك من نظره؟ فقلت لها: هاتي لله در أبيك. فقالت لي: إني حملته تسعة أشهر، فكنا في عيش ضنك كدر، ورزق نزر حقير، حتى إذا شاء الله أن أضعه، فوضعته – بحمد الله – خلقًا سويّا، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعته حتى منَّ الله علينا، وأجزل وسهل وتفضل بيمن وجهه وسعادة طلعته، فسميته (مالكًا)، ثم أرضعته حولين كاملين، فلما استتم الرضاع نقلته من المهد بيني وبين أبيه، فنشأ بيننا كأنه شبل أسد، نقيه برد الشتاء وحر الصيف، فلما مر عليه خمسة أعوام دفعته إلى مؤدب يعلمه القرآن، فقرأه وتلاه، ونظم الشعر ورواه، حتى أتم سبع عشرة سنة، فأركبته عتاق الخيل فتفرس، وحمل السلاح فتشرس، ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ، وأنا خائفة عليه وجلة مشفقة من الألسنة أن تشينه، ومن الألحاظ أن تعينه، حتى شاء الله أن تصيبنا سنون أجدبت بلادنا، وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا، فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا، ونزلنا في غير منازلنا، فخرج أصحابنا لطلب ثأرهم، وخلفه عن الركوب معهم وجع أصابه، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل من العدو، ولم يتولنا عقل، ولا هدونا. فما كان إلا هنيهة حتى حازوا على الأموال، وانهزم الرجال، وهو في البيت يسألني عن الصوت، وأنا أكاتمه خيفه عليه، حتى علت الأصوات، وبرزت المخبآت، فلما سمع ذلك ثار كما

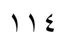
يثور الليث المنضب، وأسرج فرسه، ثم أفرغ عليه لأمة حربه، وتقلد سيفه، واعتقل رمحه. ثم لحق العدو، فطعن أدنى فارس منهم فأرداه قتيلًا، فرجعوا إليه، فرأوه ولدًا لطيفًا، صبيًا ظريفًا، فعطفوا عليه ... وتلقاه مضربًا بالسيف، وطعنًا بالرمح، حتى هلك أكثرهم وفرّ الباقون!

غَنِيُّهُ شَحَّاذُهْ

لو كان بالصبر الجميل ملاذه	ما سح وابل دمعه ورذاذه
ما زال جيش الحب يغزو قلبه	حتى وهي وتقطعت أفلاذه
لم يبق فيه من الغرام بقية	إلا رسيس يحتويه جذاذه
من كان يرغب في السلامة فليكن	أبدا من الحدق المراض عياذه
لا تخدعنك بالفتور فإنه	نظر يضر بقلبك استلذاذه
يا أيها الرشأ الذي من طرفه	سهم إلى حب القلوب نفاذه
در يلوح بفيك: من نظامه؟	خمر يجول عليه: من نباذه
وقناة ذاك القد: كيف تقومت؟	وسنان ذاك الحظ: ما فولاذه؟
رفقا بجسمك لا يذوب فإنني	أخشى بأن يجفو عليه لآذُهُ
هروت يعجز من مواقع سحره	وهو الإمام، فمن ترى أستاذه
تالله ما علقت محاسنك امرأ	إلا وعز على الورى استنفاذه
أغريب حبك بالقلوب فأذعنت	طوعا وقد أودى بها استحواذه
ما لي أتيت الحظ من أبوابه	جهدي، فدام نفوره ولواذه
إياك من طمع المنى فعزيزه	كذليله، وغنيُّه شحاذه



العيون



لأعذبنّ العين

قال الشاعر[1] ابن الصفدي يصف العيون:

١) هي التي توقع القلب في التعب، وتوفر نصيبه من أسهم الهم والنصب، وترميه بدواعي الهوان، ودواعي الهوى، وتسلمه إلى مكايدة الغرام، ومكابدة الجوى، لو عذبت بطول السهر، وكثرة الدموع، وبفيض الشئون، وعدم الهجوع، وبمسامرة الأحزان والفكر، وبمراقبة النجوم إلى السحر، وبعدم الإغفاء وطول السهر، لكان استحقاقها وجود جود الدمع وإن ظما، وعدم منال المنام وإن نما:

لأعذبن العيون غير مفكر	فيما جرت بالدمع أو سالت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه	حتى يعود على الجفون محرما
هي أوقعتني في حبائل فتنة	لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلأسفحنّ دموعها	وهي التي بدأت وكانت أظلما

ولعل موجب هذه الواعظة، والألفاظ التي هي بالتحذير لافظة أني خرجت في بعض الأيام متفرجًا وسارحًا، وجائلًا بطرفي في الرياض وسائحًا، وصحبني صديق لي في المحبة صادق، ورفيق لي فيما أروم موافق، قد ملك

(١) في لوعة الشاكي ودمعة الباكي.

كل حسن ولطافة، وجمع كل حذق وظرافة، ينصب لخـــدمتي لا يمـــلُّ ولا يسأم، ويتعب في مرضاتي لا يكل ولا يندم، ويجتهد في موافقتي لا يمـــن ولا ينم، ويحسن مرافقتي لا يُذم ولا يَذم، قد اتخذته جهينة أخبـــاري، وكـــنزًا لخزائن أسراري، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل، وهو عندي كما قيل:

بروحي مـــن لا أســـتطيع فراقـــه ومن هو أوفى مـــن أخـــي وشـــقيقي
إذا غـــاب عـــني لم أزل متلفتـــا أدور بعـــيني نحـــو كـــل طريـــق

معاني لفظ العين

للعلامة أحمد السجاعي – المتوفى سنة ١١٩٧ هـ – قصيدة رائعة في معاني لفظ العين، وهي في فنّها غريبة قد احتوت على معـــان في لفـــظ (عين)، وقد جعل حروف اسمه في أوائل أبياتها بالترتيب، وهذه هي القصيدة كما نقلت من خط الشيخ مصطفى البدري في كراسة «مجموعة لغويـــة»، وقد وضعنا تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده:

أيا ظـــبي الفـــلا وكحيـــل عـــين ويا بدر الدجى وضياء عين (الـــشمس)
حميت مـــن المكـــاره يـــا غـــزالاً حوى كل الكمال بدون عين (العيـــب)
ملكت القلب مـــني يـــا حبـــيبي وحق المصطفى المجـــري لعـــين (المـــاء)
دعانـــا للهدايـــة نعـــم طـــه رسول قد أبان لطـــرق عـــين (القبلـــة
أمـــين ســـيد مـــا فيـــه شـــك به تهدي الأنام بكـــل عـــين (الناحيـــة)
له ذات خلت عـــن كـــل ســـوء وقلب قد خلا من شين عـــين (الريـــاء)
سما فوق الـــسماء ونـــال قربـــاً وخاطب ربه وحظـــى بعـــين (النظـــر)
جميل الـــنفس والأفعـــال قطعـــا صفي خالص من قـــبح عـــين (الميـــل)
أذاع الخـــير فينـــا كـــل وقـــت وعوذ أمة مـــن شـــر عـــين (الحـــسد)

علا رتباً فلـيس لهـا انتـهاء وأظهر دينـه لخيـار عـين (الجماعـة)
يقـيم شـريعة غـراء فينـا بها كم قد هدى من كل عين(الإنـسان)
رؤوف بالعبـاد رحـيم قلـب عظيم القدر سيد كـل عـين (الكـبير)
كـريم نتقـى بحـر العطايـا فكم منح الأنام جزيـل عـين (المـال)
عظـيم مجـتبى قـد ظللتـه لدى حر عظائم كل عـين (الـسحاب)
خليـل الله أحمـد ذو كمـال مجير الناس مـن لحـظ بعـين (المطـر)
رحـيم بالعبـاد سـريع بـأس على قوم لئـام مثـل عـين (الطـائر)
كبير القـدر في الـدارين حقـا مغيث الناس من حرلعين(شعاع الشمس)
رسـول الله أنـت لنـا مـلاذ لنا فيك الرجا يا نسل عـين (الخيـار)
فكم صرفت عنـا مـن كـروب بدينا ثم أخرى عمد عين (الجد والـيقين)
وخلقـك مبـدأ الأشـياء حقـا حبيبي أنت أول كـل عـين (الـشيء)
عليـك الله صـلى مـع سـلام أصولك مثل ذا من هم كعين (الـذهب)
وآل ثم أصـحاب جميعـا فهم بذلوا لدين كل عين(الدنيا أوالنفس)
وكم قـضبوا بـسيف الله رأسـا من الأعداء، وكم قهروا لعين (الشديد)
وكـم أحيـا بهـم ربي علومـا مغيبـة ومنـها ذات عـين (الحـضور)
كذا أتبـاعهم مـا قـال عبـد: أيا ظبي الفلا وكحيل عـين (الباصـرة)

وصف العين وأسماء أجزائها

في أول كتاب (سحر العيون): الباب الخامس في وصـف العـين، وأسماء أجزائها، وعيوبها الخلقية وغيرها. قال المؤلف: اعلم يا نور الأعيان، وأعز من إنسان عيون الأجفان، أن (مقلة العين) في اللغة هـي: الـشحمة التي تجمع السواد والبياض، سميت بذلك من قولهم: مقلت الرجل في الماء: إذا غوصته فيه، وتماقل الرجل في الماء: إذا غاص فيه، وتماقل الـرجلان في

الماء: إذا تغاوصا فيه؛ ليعلم أيهما أصبر على الغوص، فلما كانت حبة العين غائصة في مائها سميت: المقلة، ويقال: ما مقلت عيني مثل فلان: أي: ما نظرت، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجبي:

لها عين غزل وغزل مكحلة، ولي عين تباكت
وحاكت في فعايلها المواضي فيا لك مقلة غزلت وحاكت

و(الحدقة): هي السواد الأعظم (في العين)، سميت بذلك لأن البياض محدق بها، ويقال: أحدق القوم به وحدقوا به – لغتان – أي أطافوا به من جميع نواحيه.

وقال الشريف الرضي:

يا قلب مالك لا تفيق وقد رأت عيناك كيف مصارع العشاق؟
فتكت بك الحدق المراض ولم تزل تشجي القلوب جناية الأحداق

و(الناظر): السواد الأصغر الذي يبصر فيه الرائي شخصه، والعرب تقول: هو مثالها، وإنسانها، ودوابها، وناظرها، وبصرها، وضيّها، وغيرها ولعبتها، وبؤبؤها، وتمثالها، وسوادها، وحبها، ومذلكُها.

قال ابن مطرف: وهذه الأسماء كلها لموضع البصر الذي في حاسة البصر، والجمع: نواظر، وليس الذي يرى الرائي صورة نفسه في ذلك الماء لصفائه، ويستدل على صحة الحاسة بما تخيل فيه.

و(الناظران) أيضًا: عرقان في العين يسقيان الأنف، يقال إنه لمرتفع الناظرين، ويقال للذي استحيى من أمر: خفضله ناظريه، والناظر يجمع

على: نواظر. قال شارح كتاب « الفصيح »: نظرت لعـــيني ونظـــرت: انتظرت وتنظرت.

و(نظرتُ) بمعنى: رحمت وتفكرت. وأنظـــرت الرجـــل: أخرتـــه، وأنظرته: جعلته ينتظرني، وقوله تعالى: (انظرونا) أي: أمهلونا: قال الشيخ برهان الدين القيراطي:

يـــا قـــاتلي بنـــواظر أجفانهـــا بـــسيوفها الأمثـــال فينـــا تـــضرب
قل للغزال أو الغزالـــة إذ رنـــت أو لاح يهـــرب ذا، وتلـــك تغيـــب

و(الحماليق): هي بواطن الأجفان، وأحدها حملاق، قال ابن مطرف: هـــي التي تراها – إذ قلبت للكحل – محمرة. وقال الزبيدي: الحماليق: نواحي العين، ويقال لمؤخري العينين مما يلي الصدغين: الحقيمان، الواحد حقـــيم. والأشفار: هي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر، والواحد: شـــفر، ومنه شفير الوادي، وشفير كل شيء حرفه.
قال الشيخ جمال الدين بن نباته:

إذا كان شفر العين فـــوق محلـــها فعندي أنا الأشفار خير مـــن العـــين

و(الأهداب): الشعر النابت عليها، وأحدها: هدب بضم الهـــاء وســـكون الدال المهملة، قال الشيخ برهان الدين:

أهداب لحظك للورى شرك فمـــن أوثقتـــــه فـــــيهن لا يتفلـــــت
كيف النجاة ورمح قدك مـــشرع؟ كيف الخلاص وسيف لحظك مـــصلت؟

و(المحجر): ما دار بالعين، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب، وجمعها محاجر، ويقال: محجر بفتح الميم وكسرها، وفتح الجيم وكسرها أيضًا، وإنما سمـــي

المحجر محجرًا لأنه مفعل من الحجر وهو المنع، فكأنه مانع عن العين من جميع جهاتها، ومنه الحجرة المحيطة بالجدر، والجمع: الحجرات.

قال الأمير سيف الدين المشدّ وأجاد:

إن العيون لـك الحـصون: فهـدبها شـرفاتها، وجفونهـا الأسـوار
وكـذا محاجرهـا حولهـا والحـافظون بهـا هـم الأنـوار

و(الماق) و(الموق): هو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مخرج الدمع مـن العين، ولكل عين موقان، وفي الموق وفي جمعه لغات كثيرة يقـال: مـأق بالهمز، وجمعه آماق، ومُوق غير مهموز، وجمعه أمـواق وأمـاقٍ ومـآق. والمقية: لغة في الماق أيضًا، والجمع مقى.

والماق: مقدمها. وقيل: الموق: مؤخر العين، وماق يجمع على مواق مثل: قاض، وقواض.

وفي الحديث: «كان يكتحل من قبل موقه مرة، ومن قبل ماقه أخرى».

قال المتنبي يمدح كافور الأخشيدي:

قواصـد كـافور تـوارك غـيره ومن ورد البحر اسـتقل الـسواقيا
فجاءت به إنـسان عـين زمانـه وخلـت بياضـا خلفهـا وأماقيـا

و(الألحاظ): جمع لحظ: وهو مؤخر العين الذي يلي الصدغ وجمعها لحـاظ، ولواحظ.

فأما اللحظة: فهي النظرة، وجمعها: لحظات في القليل، واللحظ في الكثير، ويجوز أن يجعل موضع اللحظة. يقال: لحظ العين مثل: رأي العين، ويقال: لحظ السماء بطرفه يلحظ لحظًا فهو لاحظ.

قال شيخ الشيوخ الأنصاري بحماة:

يا نظرة قد جلبــت لي حــسن طلعتــه حتى انقضت وأدامتنا علــى وجــل
عاتبت إنسان عينـــي في تــسرعــه فقال لي : خـــلق الإنسان من عجل

و(الطرف): هو ما مال بأحد السوادين: السواد الأعظم، والسواد الأصغر. قال ابن مطرف: «طرف العين تحرك أشفارها»، ويقال: طرفة عين، والعين المطروفة منه مأخوذ، وهو أن يصيب سوادها شيء فيتأذى صــاحبها بـــه، وربما أبطلها، وهي «الطرفة»، قال الشيخ علاء الدين الوداعيّ:

كـــم دمـــاء مطولـــة في هـــواه وبهـــا ورد خـــده مطلـــول
وحديث مـــن الـــسقام صـــحيح قـــد رواه عـــن طرفـــه مكحـــول

و(القبل): هو ميل الحدقة في النظر إلى الأنف، وأنشد الثعــالبي – وقــد استحسنه في «فقه اللغة» له – قول ذي الرمة:

أشـــتهي في الطفلـــة القـــبلا لا كـــثيرا يـــشبه الحـــولا

وقال جرير:

وما زالت القتلـــى تمـــج دماءهـــا بدجلة حـــتى مـــاء دجلـــة أشـــكل

وقول علاء الدين البديوى:

أنا جـــدّ أنـــصار الـــنبي لأنـــني يـــا أزرق العيـــنين عبـــد الأشـــهل

وأنشدني المولى أبو الفتح محمد الرسام الأزهري:

رنـــت رمـــت فأصـــابت قلـــبي، وأذكـــت لهيبـــه

فهـــو المـــصاب بعـــين شـــهلاء وهـــي المـــصيبه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

وأغيـــدكل شـــيء فيـــه يعجـــبني كأنما هو مخلـــوق علـــى شـــرطي
أجفانه السود ما تخطـــى إذا رشـــقت سهامها، وسهام الليل مـــا تخطـــي

وقال علاء الدين الوداعي:

رمـــتني ســـود عينيـــه فأصـــمتني ولم تبطـــي
ومـــا في ذاك مـــن بـــدع ســـهام الليـــل مـــا تخطـــي

وقال شهاب الدين الزعفريني:

مليك على العشاق، سكران طرفـــه لا عجـــب للحـــظ منـــه يعربـــد
شكوت إليه أســـر قلـــبي في الهـــوى فوقـــع لي ســـحر: الجفـــون يخلـــد

وقال بشار بن برد:

يـــا مـــن برايـــق يحيـــي الـــورى وبـــسحر عينيـــه النـــواعس تقبـــل
من سحر عينيك المهـــاة تعلمـــت وكـــذلك الغـــزلان منـــها تغـــزل

وقال ابن عباد:

ونظرن من خلل الـــستور بـــأعين مرضى يخالطهـــا الـــسقام صـــحاح

وله أيضًا:

وسنان قد خدع النعـــاس جفونـــه فحكـــى بمقلتـــه ذبـــول النـــرجس
مذ غض طرفـــا بالحيـــاء فـــإنني منه استحيت بـــأن أقبـــل مؤنـــسي

وقال الغزيّ:

كأنمـــا ســـواد عـــين منـــيتي   كعنـــبر يـــا أنفـــسا لـــوام
لا تنكـــروا مقـــالتي تجـــاهلا   مـــع علمكـــم بأنهـــا لوّامـــه

وقال الشهاب بن القطان:

شـــــاقني مــــارس فــــول   زهـــــره حـــــاكى عيونـــــك
وابتغــــى التعــــريض، قلنــــا: لعــــــــن الله قرونــــــــك

آفة النظر وغائلته:

وكنت إذا أرسلت طرفك زايــرا   لقلبــك يومــا أتعبتــك المنــاظر
رأيت الذي لا كله أنــت قــادر   عليه ولا عن بعــضه أنــت صــابر

ولأبي العباس الصيني:

قم فاسقني بين خفق الناي والعــود   ولا تبــع طيــب موجــود بمفقــود
كأسا إذا أبصرت في القوم محتشما   قال الرور لــه قــم غــير مطــرود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنــا   نزوّج ابن ســحاب بنــت عنقــود

وله أيضًا:

يقـــر الله عينـــك يـــا جفـــوني   فقـــد أعتقـــت مـــن رق الـــسهاد
ويا عيني لــك البــشرى فنــامي   وتهنيـــك الـــسلامة يـــا فـــؤادي
رغبت عن الهوى وهربــت منــه   إليــك وكنــت دهــري في جهــاد

وله أيضًا:

سقتني لتروح الراح روحا وحققــت   مواعيدها ذات الوشاح بإنجاز أناملها

على نــرجس حيــت بــه فكأنها　　انــضمت علــى حــدق البــازي

وله أيضًا:

إذا ضاق صدري وخفــت العــدا　　تمثلـــت بيتـــا بحـــالي يليـــق

فبـــالله نبلـــغ مـــا نرتجـــي　　وبـــالله نـــدفع مـــا لا نطيـــق

وله أيضًا:

يغيـــب البـــدر يومـــا ثم يبـــدو　　فمالك غبــت عــن عــيني ثلاثــا

إذا لم تطلـــع الاثـــنين عـــصرا　　فلـــست بواجـــدي يـــوم الثلاثـــا

وله أيضًا:

ولقد مررت على الظباء وصــادني　　ظـــبي وعهـــدي بالظبـــاء تـــصاد

نفـــذت لواحظـــه إلي بأســـهم　　أغراضـــــها لأرواح والأجـــــساد

وله أيضًا:

صب المــداد ومــا تعمــد صــبه　　فتـــورد الخـــد البـــديع الأزهـــر

يـــا مـــن يـــؤثر حـــبره في ثوبنـــا　　تـــأثير لحظـــك في فـــؤادي أكثـــر

وله أيضًا:

من شاء عيشا رخيّا يــستفيد بــه　　في دينـــه ثم في دنيـــاه إقبـــالا

فلينظـــرن إلى مـــا فوقـــه أدبـــا　　ولينظـــرن إلى مـــن دونـــه مـــالا

وله أيضًا:

أدرك بقيـــة روحهـــا رمـــق　　وقد أذابت همـــوم الـــنفس أكثرهـــا

وإنمـــا ســـلمت منـــها بقيتـــها　　لأنها خفيــت ضــعفا فلــم ترهــا

وله أيضًا:

ألا حل بي عجب عاجب   تقاصر وصفي عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من   رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر في شوق إلى حبيب:

إن غبت عن ناظري فأنتم   في القلب يا غاية التمني
والظن أن لا تخون عهدي   لا خيب الله فيك ظني

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان[1]

كان مسافر بن عمرو بن أمية يهوى هندًا بنت عتبة بن ربيعة، وله فيها شعر يغنّي به، فلما فارقت زوجها الفاكه بن المغيرة خطبها إلى أبيها، فلم ترض ثروته وماله، فوفد على «النعمان» يستعينه على أمره، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان، وعلم منه أنه تزوج هندًا.

وكان مسافرًا، ومن أحسن فتيان قريش جمالًا وشعرًا وسخاء، وقد عشق هندًا وعشقته، فاقم بها، وقال بعض الرواة: إنها حملت منه، فلما بان حملها أو كاد، قالت له: اخرج، فخرج حتى أتى الحيرة، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر، فسأله عن قريش، فكان مما قال له: أنه تزوج من هند بنت عتبة؛ فدخله من ذلك ما اعتل معه، حتى استسقى بطنه.
وروى معروف بن خربوذ أن مسافرًا قال في ذلك:

ألا إن هندا أصبحت منك محرما وأصبحت من أدنى حموتها حمى
وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوسا وأسهما

(١) الأغاني ج ٨

حكمة التعدد في الإسلام[٢]

إنه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وإذا تتبعنا القرآن العظيم لم نجده يذكر المؤمنين إلا ومعهم المؤمنات، ولا المسلمين إلا ومعهم المسلمات، ولا الصائمين إلا ومعهم الصائمات، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة وما فيها، وهكذا في غير ما آية.

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف فسيقف بنفسه على ما ذكر، فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب، وعليهن ما عليهم من العقاب، لا فرق بين حر ورقيق، ومولى وعتيق.

وقال – صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة غاب عنها زوجها فحفظت غيبته في نفسها، وطرحت زينتها، وقيدت رجلها، وأقامت

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه علي مبارك باشا.

الصلاة، فإنها تحشر يوم القيامة عذراء طفلة، فإن كان زوجها مؤمنًا فهو زوجها في الجنة، وإن لم يكن زوجها مؤمنًا زوجها الله من الشهداء"، فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلًا عن اتصافه بالفضل أن يضيع عمل عامل، أو يحرم الراجي فضله الشامل؟

وهنا تعرض مستشرق إنجليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال: "لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحببن دين الإسلام، لكن ربما يمنعهن شيء آخر أشق عليهن من كل شيء، وأضر... هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات".

وردّ على المستشرق بأنه لا دخل لتعدد الزوجات ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية، ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوربيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه، فالعرب للأوربيين في كل ما علموه ملاذ، واحتياجهم إليهم كاحتياج المتعلم إلى الأستاذ.

وأما ما كان من أمر تعدُّد الزوجات فليس هذا خاصًّا بالمسلمين، بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوِّزون التعدد أيضًا، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ نقلًا عن دانيال القسيس أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعددات، مع أنهم كانوا متدينين بدين النصرانية؛ ومن ثَمَّ كان لكل من غنطران وشربير وداغوبير الأول ثلاث زوجات، ولعم داغوبير، وهو فلودمير أربع زوجات في آن واحد.

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد كتب البابا غرينور الثالث إلى الواعظ بدسقاس حين أرسل إليه ليسأله عن جواز التزوج بامرأة ثانية: "إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنعها عن القيام بحقوق الزوج، جاز له أن يتزوج بامرأة أخرى، وعليه للمصابة مؤنها الضرورية". ولعل الحكمة من إباحة تعدد الزوجات عند المسلمين، وعند كل من كان على رأيهم أن التدبير الإلهي لما ميز الرجل بقوة البنية، وطول زمن التناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعذار المعتادة للنساء في أوقات معينة – كالحيض والنفاس – راعى الشرع جانبه لذلك.

وأما حكمة الإفراد التي عول عليها النصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كل طبيعة، ولا بأنها تقطع ما يخشونه من المفاسد؛ فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنة، ونحو ذلك.

فقال المستشرق الإنجليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرة فرأيت في السورة الثالثة ما ظاهره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخِلُّ بشرف الإنسانية.

فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزوج منها خلاف ما يعهد، على أنه ليس له ذلك من أول الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدبها بالهجر، فإن لم يُجْدِ الهجر ضربها، بشرط ألا يضر بها، وألا يخرج على حسن العشرة المأمور به في القرآن، الذي جعل

التشديد عليهن مذمومًا، وصير من عاقبهن على كل ما فرط منهن ملومًا، كقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

وكقوله الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «احملوا النساء على أخلاقهن» وقول عمر بن الخطاب – رضي الله – عنه: «ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبي، فإذا طلب ما عنده وُجدَ رجلًا».

وقال بعض الصحابة للنبي – صلى الله عليه وسلم –: "ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت".

ومعنى لا تقبح: لا تسمعها المكروه، ولا تشتمها، أو لا تقل لها: قبحك الله، ونحو ذلك.

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثير مما يعظم أمر النساء، ويوجب رعايتهن، والمبادرة إلى القيام بحقوقهن، وهل حرية النساء إلا أن يبلغن حقوقهن على أزواجهن حسبما تقتضيه المروءة، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهن من خصائص الرجال. وليس فيما يقبل العقل المنزه عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهن وما اشتهين، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهن وأهوائهن على عقولهن.

المرأة التي تزوج عليها زوجها

في «سبحة المرجان»[3] أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها، منها قول ابن المعتز:

(٣) سبحة المرجان ص ٢٥٧ أشعار.

خبروهـــــا بـــــأنني تزوجـــــــــ	ـــت فظلت تكـــاتم الغـــيظ ســـرا
ثم قالـــت لأختـــها، والأخـــرى	جزعا: ليته تـــزوج تـــزوج عـــشرا
وأشـــــارت إلى نـــــساء لـــــديها	لا تـــرى دونهـــن للـــسر ســـترا
مـــا لقلـــبي كأنـــه لـــيس مـــني	وعظـــامي أخـــال فـــيهن فتـــرا

عدم زواج الرجل بمن يهواها

معلوم أن العرب[٤] كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها، وكـــان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها.

قال أبو رياش: كان الرجل إذا عرف بحب امرأة لم يزوجوه إيـــاه، وكان إذا سلم عليها عرف أنه يهواها، وقد يسلم عليهـــا وإن كـــان في السلام يأس منها، وهذا من إفراط شوقه، وغلبة هواه.

رؤية الرجل المرأة عند تزوجها[٥]

قال الأصمعي:الحسن في العينين، والجمال في الأنف، والملاحة في الفم.

وقالت امرأة خالد بن صفوان له: إنك لجميل يا أبا صفوان. فقال: كيف وليس عندي رداء الجمال، ولا برنسه ولا عموده. إن رداءه البياض وأنا آدم، وعموده الطول وأنا ربعة، وبرنسه سوداء الشعر وأنـــا أشمـــط، ولكن قولي: إنك مليح ظريف.

ورُوي أن النبي – عليه الصلاة والسلام – خطب امرأة، فأرســـل عائشة –رضي الله عنها – لتنظر إليها، فلما رجعت إليه قالت: ما رأيـــت

---

(٤) التبريزي على الحماسة ج ١

(٥) في الروض الأنف.

طائلًا. فقال: بلى، لقد رأيت خالًا في خدها اقشعرت منه كل شعرة في جسدك.

وقالت عائشة – رضي الله عنها – تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحاك لأول مرة: والله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها. وفي ذلك ما يدل على ما كان عليه أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من الغيرة عليه، والعلم بموقع الجمال عنده.

أما نظره – عليه الصلاة والسلام – إلى جويرية حتى عرف من حسنها ما عرف، فذلك لأنها كانت مملوكة، لو كانت حرة ما ملأ عينيه منها؛ لأنه لا يكره النظر إلى الإماء. وجائز أن يكون نظره إليها، لأنه نوى تزوجها.

ورُوي أن امرأة قالت للنبي – صلوات الله عليه – : "إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله".فصعد فيها النظر ثم صوب، ثم أنكحها من غيره.

وثبت عنه – عليه الصلاة والسلام – الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها، وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة: "لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما". وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك.

وقد أجازه مالك في إحدى الروايتين عنه، ذكرها ابن أبي زيد.

وفي مسند البزار: «لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها وهي لا تشعر».

وفي تراجم البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أن النبي – عليه الصلاة والسلام – قال لعائشة – رضي الله عنها –: "أريتك في المنام

يجيء بك المَلَك في سرقة من حرير، فكشف عن وجهك، فقال لي: "هـــذه امرأتك". فقلت: "إن يكن من عند الله يمضه".

وهذا استدلال حسن. وفي قوله: "إن يكن من عند الله سؤال"؛ لأن رؤياه وحي، فكيف يشك في أنها من عند الله؟ والجواب: "أنه لم يـــشك في صحة الرؤيا، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه، فمن ها هنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها، أولها تأويل".

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث: لا يخلو نظره – عليـــه الصلاة والسلام – إليها من أحد الأمرين، أو يكون ذلك قبل أن يـــضرب الحجاب، وإلا فقد قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾.
والنبي –صلى الله عليه وسلم– هو بغير شك إمام المتقين، وقدوة الورعين.
وجويرية هي بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ، وتوفيـــت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين أم خمس وخمسين من الهجرة.

رايات من خمر النساء[٦]

وجَّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عتبة بـــن غزوان واليًا على البصرة، وقال له: يا عتبة، إني قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من حومات العدو، وأرجو أن يكفيك لله مـــا حولهـــا، ويعينك عليها... فإذا قدم عليك العدو، فاستشره، وادع إلى الله، فمـــن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية، وإلا فالسيف، واتق لله فيما وليـــت،

(٦) في « الكامل » لابن الأثير.

وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر مما يفسد عليك إمرتك، وقد صحبت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعززت به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميرًا مسلطًا، وملكًا مطاعًا، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيالها من نعمة؛ فاحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيذك بالله ونفسي من ذلك، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين. انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيموا، فسار عُتبة ومن معه، وأقام بالبصرة، ثم سار عُتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس، فاقتتل الفريقان.

وقال نساء المسلمين: لو لحقنا بهم فكنا معهم، فاتخذن من خمرهن رايات، وسرن إلى المسلمين؛ فلما رأى المشركون الرايات، ظنوا أن مددًا للمسلمين قد أقبل، فانهزموا، وظفر بهم المسلمون!

كشف وجه المرأة في الإحرام

قالت عائشة – رضي الله عنها[(٧)]: لو علم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أحدث النساء، لمنعهن من المساجد. وسئل عقيل عن كشف المرأة وجهها في الإحرام، مع كثرة الفساد في زمانه: أهو أولى أم التغطية مع الفداء؟ فأجاب: بأن الكشف شعار إحرامها، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعًا لحوادث البدع.

---

(٧) في بدائع الفوائد.

وأما قول عائشة – رضي الله عنها – فإنها ردّت الأمر إلى صاحبه فقالت: لو علم لمنع، ولم تمنع هي وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح، وأجاز للشهود النظر، فليس ببدع أن يأمرها بالكشف، ويأمر الرجال بالغض ليكون أعظم للابتلاء.

وإنما جاء النص بالنهي عن النقاب خاصة، كما جاء النهي عن القفازين، وعن لبس القميص والسراويل، ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة، بل قد أجمع الناس على أن المحرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء، وأسافله بالإزار.

ومن قال: إن وجه المحرمة كرأس المحرم، فليس معه بذلك نص. وقول من قال من السلف: إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل، بل يلزمها اجتناب النقاب، فيكون وجهها كبدن الرجل.

وقد قالت عائشة – رضي الله عنها –: كنا إذا مر بنا الركبان سدلت إحدانا جلبابها على وجهها، ولم تكن إحداهن تتخذ عودًا تجعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة، ولا أمهات المؤمنين البتة، لا عملًا ولا فتوى، ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام، ولا يكون ظاهرًا مشهورًا يعرفه الخاص والعام.

ومن آثر الإنصاف، وسلك سبيل العلم والعدل تبين له راجح المذاهب من مرجُوحها، وفاسدها من صحيحها، والله الموفق الهادي.

المرأة لعبة زوجها[٨]

البيضة المكنونة[٩] بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها، والصفرة التي تضرب فيها.

قال ذو الرمة:

نجلاء في بـــرج صـــفراء في نعـــجٍ   كأنها فـــضة قـــد مـــسها ذهـــب

والمكنونة: المصونة، والنعامة تخفيها بريش، ولا تبديها للشمس والريح لئلا تتغير. وقال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾.

وعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – عن النبي – صـــلى الله عليه وسلم – أنه قال: "المرأة لعبة زوجها، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل".

والمداعبة: الممازحة، والمغازلة، تقول: غازلتني المرأة: إذا تماجنـــت عليك في كلامها، وأشارت لك بعينها، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعـــت فيها صدت عنك... والمليحة الصورة: المستملحة، كالدمى والصور الـــتي تلعب بها البنات ونحوها.

مات زوجها فتزوجت !

يروى أن امرأة من مدينة «يشكُر» اسمها «أم عقبة» كانت عند ابن عم لها يقال له «غسان»، وأنه سألها عما تصنع بعد موته، فقال:

---

(٨) في خزانة الأدب للبغدادي.

(٩) تكن رأسها: أي تخفيها كما هو مشهور عن النعامة غالبًا.

أخبري بالــذي تريــدين بعــدي والــذي تــضمرين يــا أم عقبـــه
تحفظين من بعد مــوتي لمــا قــد كان مني من حسن خلــق وصــحبه
أم تريـــدين ذا جمـــال ومـــال وأنا في التــراب في ســجن غربــه

فقالت له: والله لا أجيبك بكذب، ولأجعلنه آخر حظي منك، وأنشدته:

قــد سمعــت الــذي ومــا قــد يا ابن عمي تخــاف مــن أم عقبــة
سوف أبكيك ما حييــت بنــوح ومـــــراث أقولهــــا أو بندبـــــه

فلما سمعها أنشأ يقول:

أنـــا والله واثـــق بـــك لكـــن احتياطـــا أخـــاف غـــدر النـــساء
بعد موت الأزواج يا خير من عــو شر فارعي حقــي لحــسن الوفــاء
إنني قد رجوت أن تحفظي العهـــ ـــد فكوني إن مــت عنــد الرجــاء

ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات، فلم تمكث بعده قليلًــا حــتى خطبت من كل جانب، رغب فيها الأزواج لاجتماع الخــصال الفاضــلة فيها، فقالت مجيبة لهم:

سأحفظ غسانا علــى بعــد داره ونزعناه حتى نلتقــي يــوم نحــشر
وإني لفي شغل عن الناس كلــهم فكفوا فما مثلي بمــن مــات يغــدر
سأبكي عليه ما حييــت بدمعــة تجول على الخــدين همــي فتــهمر

فلما تطاولت الأيام تناست عهده وقالت: من مات فقد فات.

فأجابت بعض خطابها فعقد عليها، فلما كانــت الليلــة الــتي أراد الدخول بها أتاها آت في منامها فقال:

عقدت ولم ترعــي لبعلــك حرمــة ولم تعرفي حقــا ولم تحفظــي العهــدا

حلفت له بتّـا ولم تنجـزي الوعـدا ولم تصبري حولا حفاظـا لـصاحب
كذلك ينسى كل من سكن اللحـدا غدرت بـه لمـا ثـوى في ضـريحه

فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مرتاعة كأن غسان معها في جانب البيت، وأنكر ذلك من حضرها من نسائها، فأنشدتهن الأبيات، فأخذن معها في حديث لينسينها ما هي فيه، فغفلتهن وأخذت مدية، فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها، فقالت امرأة منهن:

لقيت من غسان لا خيرة النسوان لله درك مـاذا
يا خيرة النسوان قتلت نفسك حزنـا
هممت بالعصيان وفيت من بعد ما قد
لسقطة الإنسان وذو المعالي غفور
لم يزل بمكان إن الوفاء من الله

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى

قالت امرأة حاكية[١٠] كنت عند عائشة بنت طلحة يومًا، فقيل لها: هذا الأمير قد جاء، فتنحيت، ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها رأيته وكأنما أوتي ملك سليمان.

ويقال: إن رملة بنت عبد الله – ضرة عائشة هذه – قالت لمولاة عائشة يومًا: أريني مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم. فذكرت الجارية ذلك لعائشة، فقالت: أنا أتجرد لها ولا تعلميها أني عرفت، ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تغتسل، وذهبت مولاتها إلى رملة ضرتها فأخبرتها، فأشرفت

(١٠) روضة الأعيان للتراجم ص ٤٣٨

عليها وتأملتها مقبلة ومدبرة وأعطت الجارية ألفي درهم، وقالت: وددت لو أني أعطيك أربعة آلاف درهم ولم أرها، وذلك لما راعها مـــن حـــسن جسدها البض، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة.

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قائمة، دلالة على أنها لا تتزوج بعده.

روى الأصفهاني في كتابه «الأغاني» أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية استاذنت زوجها عبد الملك في الحج، فأذن لها وقال: ارفعي إلي حوائجـــك كلها، واستظهري فإن عائشة بنت طلحة تحج معك، فاستظهرت بكل مـــا تقدر عليه، وخرجت بهيئة حسنة قد اجتهدت فيها، فلما كانت بين مكـــة والمدينة إذا ركب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها، وكان هو ركب عائشة بنت طلحة!

القبلة وإباحتها(١١)

قالت طائفة من العلماء: القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين، قالوا: لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك الـــنفس، والقبلة صغيرة، وهلاك النفس كبيرة، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر، ولا خطر أعظم من خطر النفس، حتى أوجبوا علـــى المحبـــوب مطاوعته على ذلك إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكـــه، واحتجـــوا بقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَـــمَ ...﴾،

(١١) المنتخبات الشعرية رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٨٧

والحديث الذي يقول: "يا رسول الله، إني لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح"، قال: "أصليت معنا"؟ قال: "نعم". قال: "إن الله قد غفر لك". فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. رجع إلى المقاطيع:

قال أبو الفرج الجوزي:

يـا مـانع القبلـة مـن خـده فتّـت قلـبي فهـو مفتـوت
لا تخـش أنفاسـي ولا حرهـا فإنمـا خـدك يـاقوت

ولأبي الفضل بن أبي الوفا:

سـألتها رشـف ريـق مـستعذب الطعـم حلـوي
قالـت: فـصفه ارتجـالا فقلـت: بعـد التـروي

ولابن حجة:

وعاشـق ألـزم معـشوقه قبلـة في فيـه فيهـا شـفاه
ولم يخـف مـن جـارحي لحظـه خطفـا وقـد بـاس ولم يخطفـاه

ولابن العطار:

جمعـت بـالراح شملـي فـالله يجمـع شملـك
وكـم يـد لـك عنـدي دعـني أقبـل رجلـك

ولآخر:

رأيـت في مجلـسي مليحـا يـشبه بـدر الـدجى وأحـسن
سـألته قبلـة بخـد فجـاد بالوصـل لي وأحـسن

وقال آخر:

سألته قبلة ألذ بها فصد عني وقال سروالك
فقلت: لم سيدي؟ فجاوبني: عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في «مشروط على الخد»:

روحي مشروط على الخد أسمر وف ودنا بعد التجنب والسخط
فقال على اللثم اشترطنا فلا تزد فقبلته ألفا على ذلك الشرط

ولبعضهم رحمه الله:

قال الحبيب وقد شفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا
أفطرت؟ قلت: نعم رأيتك طالعا وهلال وجهك يوجب الإفطارا

ولآخر عفا الله عنه:

قبلت مبسمه فقال تذللا عند اللقاء له ونحن صيام
أفطرت يا هذا، فقلت له ابتدا ء الصوم مع رؤيا الهلال حرام

وقال آخر في الجناس:

إن كنت تألف بالحبيب وقربه فاصبر على جور الرقيب وداره
إن الرقيب إذا صبرت لحكمه ثواك في مثوى الحبيب وداره

محاسن الخَلْق والخُلُق[١٢]

عن وهب بن منبه أنه قال: قال موسى عليه السلام: "أي رب، أي عبادك أحب عليك"؟ قال: "من أذكر برؤيته". وقال وهب: قال داود: "يارب أي

(١٢) الجزء رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٩٨

عبادك أحب إليك"؟ قال: "مؤمن حسن الصورة". قال: "أي عبادك أبغض إليك"؟ قال: "كافر قبيح الصورة ..."

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي – صلى الله عليه وسلم: "إن الله جميل يحب الجمال. رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وجماعة.وعن حديث ابن حديج عن أبي مليكة، يرفعه: "من آتاه الله وجهًا حسنًا، وخلقًا حسنًا، وجعله في موضع غير شائنٍ له، فهو من صفوة الله من خلقه".

وفي الصحيحين عن أبي بريدة قال: "قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر". وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه، حسن الاسم، وكان يقول: "إذا أبردتم إليّ بريدًا فليكن حسن الوجه، حسن الاسم".

وفي مليح:

يا من وجه بدت أنواره	كالشمس عند طلوعها با أشرق
لولا هواك لما جفا جفني الكرى	ليلا، وبت بدمع عيني أشرق

وفي آخر:

شبهت بالبدر الحبيب فقال لي:	لا به أثر الصبابة لايح
لا وجه للتشبيه، قلت: أما ترى	وجه الحبيب؟ فقال: وجه واضح

وقال له:

وجه يفوق الهلال حسنا	ويخجل البدر إن تجلى

يقـــول في الحـــال مــــن رآه أشــــــهد أن لا ملــــــيح إلا

وقال آخر:

أحب من المردان كل مهفهــف رشــيق المــثنى لم يــسر في خدهالــشعر
فأما إذا ما الشعر في خده بــدا فلا خير في اللذات مــن دونهــا الــستر

وقال آخر:

أظهــــروا وجهـــك الملـــــيح ثم لامــــوا مــــن افــــتتن
لـــــــو أرادوا جنــــــايتي حجبـــوا وجهـــك الحــــسن

وقال آخر وأجاد:

يا من وهبت له روحــي فعــذبها ورمت تخليــصها منــه فلــم أطــق
أدرك بقية نفس فيك قــد بلغــت قبل الممــات فهــذا آخــر الرمــق

ولابن الخطيب في «الحسن»:

الـــدر فـــوق جبينـــه يتوقـــد والمـــاء في وجناهــــت يتـــردد
كتب الهـــوى بيـــد إليـــه يؤكـــد بالحسن فـــوق جبينـــه يـــا واحـــد

وله أيضًا:

جفــــون معــــذبي يملأنــــه مــــــنى وإن وداده تكليــــــف
لكــــني لم أنـــأ عنـــه لأنـــه خـــبر رواه الجفـــن وهـــو ضـــعيف

ولشهاب الدين بن ناصر الدين:

بي ســـــقام مــــن جفـــــون قــــد جفـــوني لــــست أبــــرا
وعيـــــــون فاتكـــــــات مــــن ســـيوف الهنـــد أبـــرا

ولآخر:

كــأن مقتلــه صــاد، وحاجبــه نــون وموضــع تقبيلاتــه مــيم
فصرت أعبد منه في الهــوى صــنمًا وعابــد الــصنم الإنــسي مخــدوم

ولآخر في العيون:

يا مــن يــشبه نرجــسا بنــواظر دعــج تنبــه إن فهمــك راقــد
أين القياس لمــن يــصح قياســه بــين العيــون وبينــه ذا ســاعد

وقال أيضًا في ذلك:

وظبي إذا عاتبت ناعس طرفــه يلذ لطرفي في دجى الليــل شــهده
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه ولا تقتلــوه إنــني أنــا عبــده

ولآخر في العيون السود:

عيونك السود إن مدت ســوالفها تحكــم علــيّ ومــا أقــدر أخالفهــا
وإن كان حبل الجفا سود معافهــا في وسط قلــبي بنــا لنــاس معالفهــا

ولآخر في ذلك:

كنت أشتهي بحبيبي ألف ناقــة ســود وألف أخرى يكن جمالهــا مــسعود
أنزل إلى الحرب آخد عود وأعطى عود أسلم من الحرب تقتلني العيون السود

وفي من عينه زرقاء:

بعينــــــــه الزرقــــــــــاء في قلــــــبي ســــــهم منطلــــــق
واعجبــــــــا أحبــــــــــه وهــــــــو العــــــــدو الأزرق

وفي أحول:

قالوا شــغلت بــأحول فــأجبتم قــــد زدتمــــوه والله في أوصــــافه

لا تحـــسبوا حولانـــه.. لكنـــه   مـــن زهـــره يرنـــو علـــى أعطافـــه

وفي من بعينه رمد:

جاء الحبيـــب وعينـــاه بهـــا رمـــد   والنار في مهجتي تصلي تصلى بها كبدي
وقال أرجو علاجاً قلـــت واعجبـــاً   أسل سيفا لقتلـــي في الهـــوى بيـــدي

وفي الوجنة الحمراء:

الطرف بعدك قد عـــادت مدامعـــه   فهل تـــأذن لطيـــف منـــك يطرقـــه
والقلب في الوجنة الحمراء يا سكني   كعابـــد النـــار يهواهـــا وتحترقـــه

وفي مبتسم الثغر:

جـــاء بـــصبح ثغـــره مبتـــسما   يمـــشي بليـــل الـــشعر في دلال
قلت له: دمـــت لقلـــبي هكـــذا   مـــا دامـــت الأيـــام والليـــالي

وفي حبيب:

قال الحبيب يقـــول ثغـــري إنـــه   ذو قرقـــف داء المحبـــة دافـــع
يا زيد خذ منـــه الحـــديث فإنـــه   حـــسن رواه مالـــك عـــن نـــافع

وقال في أحور:

وأحور طـــرفي حـــاير في جمالـــه   وقلبي، فقل لي ما الذي فيـــه أصـــنع
وعرنينـــه أقـــنى أشـــم وطرفـــه   كحيل، وخدّاه مـــن الـــورد أصـــبغ

وفى لجلجة كلام المحبوب:

عابوا التلجلج في كـــلام معـــذبي   فأجبتـــهم والعـــذر في بيـــان
إن الذي ينـــسى الكـــلام لـــسانه   ولـــسانه مـــن ريقـــه ســـكران

وفي معاينة حسن الحبيب:

لو عاينت عيناك حـــسن معـــذبي ... ما لمـــتني ولكنـــت أول مـــن عـــذر

عين الرشا، قد القنا، ردف النقـــا ... شعر الدجى، شمس الضحى وجه القمر

ولابن مبارك:

يا أيهـــا العـــشاق قـــد جـــاءكم ... متـــيم يـــسأل كـــي يهتـــدي

أجيِّـــد إتـــلاف روح امـــرئ ... علـــى ملـــيح في الهـــوى أم رديِ

وقال آخر في من بيده مدية:

وشـــادن في يـــده مديـــة ... جردهـــا للفتـــك مـــن غمـــدها

مـــا كـــان محتاجـــا إلى حملـــها ... فلحظـــه أقطـــع مـــن حـــدها

ولأبي نواس في أحور ساحر العينين:

ويلـــي علـــى أحـــور ممكـــور ... وســـاحر العيـــنين مـــسحور

تختـــاره الحـــور علينـــا كمـــا ... نختـــاره نحـــن علـــى الحـــور

وفي من يبكي!:

يـــا قمـــرا أبـــصرت في مـــأتم ... ينـــدب شـــجوا بـــين أثـــواب

لا تبـــك للميـــت يـــا ســـيدي ... وابـــك قتـــيلا لـــك بالبـــاب

وفي من ينظر في المرآة:

وإذا أراد بـــأن يـــتره طرفـــه ... أخـــذ المـــرآة بكفـــه فتفرجـــا

فكأنـــه وكأنهـــا في كفِّـــه ... شمس الضحى قد قارنت بدر الـــدجى

وفي قواس:

قالـــت لقـــوّاس لـــه طلعـــة   مـــن رام عنـــها الـــصبر لم يقـــدر
يا من له وجـــه كبـــدر الـــدجى   بكـــم تبيـــع القـــوس للمـــشتري؟

وللأزميري في رام:

بأبي وأمي راميـــاَ يـــسبي الحـــشا   بلـــواحظ تـــسطو علـــى العـــشاق
لمـــا أراد إطبلـــق ســـهم راميـــاً   زاد الورى عـــشقاً علـــى الإطـــلاق

وفيه أيضًا:

رمى عن قوسه في الطـــير ســـهما   علـــى عجـــلٍ ولم يهمـــل رويـــدا
وفوّق نحو قلـــبي ســـهم طـــرف   فلـــم يخطـــي بـــسهميه الـــسويدا

وفي رمال:

وضارب بالرمـــل مـــن حـــسنه   يـــزدحم النـــاس علـــى رملـــه
كـــأن مـــن أبـــدع في خلقـــه   قـــد خلـــق العـــشاق مـــن أجلـــه
مـــستخرج في الرمـــل أشـــكال   ومـــا يريـــدون ســـوى شـــكله

ولابن الورديّ في ذلك:

حكـــى القـــضيب والقنـــا   بالرمـــــــل والأنامـــــــل
وقـــال وصـــلي غفلـــة   إلا بفـــــــيض داخـــــــل

وقال في منجّم:

ورب مـــنجم قـــد صـــد عـــني   ولي أبـــداً بطلعتـــه ولـــوع
فقلت عساك ترجـــع عـــن قريـــب   فقـــال الـــشمس لـــيس رجـــوع

ولابن المزين في تاجر:

وتـــاجر شـــاهدت عـــشاقه والحـــرب فيمـــا بينـــهم تـــساير
قـــال علـــى مـــا اقتتلـــوا هكـــذا قلـــت علـــى عينـــك يـــا تـــاجر

وللأزميري في تاجر أيضًا:

وتـــــاجر يمـــــــنح عـــــــشاقه مـــــالا ووصـــــلا لـــــيرى نـــــادره
مـــــــا ردّ يومـــــــــاً زايـــــــــراً لأنـــــــــه متـــــــــسع الـــــــــدايره

و له في شاعر:

لا تعـــذلوني إذا عـــشقت شـــاعراً في فيـــه نظـــم الـــدرِّ يـــا رفـــاقي
فهـــو البـــديع حـــسنه لكنـــه يميـــل للترصـــيع في الطبـــاقي

ولآخر في الخد:

بـــدا في الخـــد عارضـــه فأضـــحى عليـــه مفـــيض بـــاللوم يغـــري
وحلـــول أن يـــرى مـــني ســـلواً فقال: لقد تعـــذر. قلـــت: صـــبري

ولآخر .. اقتباس في مَن في خده عذار:

رأيـــــت في خـــــده عـــــذراً خلعـــــت في حبـــــه عـــــذاري
قد كتـــب الحـــسن فيـــه ســـطراً ويـــــولج الليـــــل في النـــــهار

ولابن المعتز في ذمّه وهجره:

يا رب إن لم يكـــن في وصـــله طمـــع ولم يكن قدح من طـــول هجرتـــه
فاشف السقام الذي في جفـــن مقتلـــه واستر محاســـن خديـــه بلحيتـــه

وله أيضًا عفا الله عنه:

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفن وقد تعفت معاني وجهك الحسن
وكان يعرض عني حين أبصره فصرت أعرض عنه حين يبصرني

وقال آخر:

لما التحى ومحا الإله جماله وكساه ثوب مذلة ونفاق
كتب الزمان بخطه في خده هذا جزاء معذب العشاق

وقال آخر:

غدا أسوداً بالشعر أبيض وجهه فأصبح من بعد التنعيم في ضنك
على وجهه أضحى بخطي عذاره تناديهما عيناه حزناً: قفا نبك

ولآخر.. اقتباس:

قتل الناس باللواحظ حتى أهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه وعيناه كلّت وكفى الله المؤمنين القتالا

وآخر... مثله:

لما بدا في خده عارض بشرت قلبي بالسلو المقيم
وقلت غدا عارض ممطر فجاءني منه عذاب أليم

وقال آخر أيضًا:

قلت لما تشركت عارضاه وأباد السواد ضوء نهاره
إيش هذا فقال لي في جوابي كل من مات سوّدوا دارِه

ولابن نباتة:

وأمـــــرد مقتـــــه ربـــــه بدّلـــه بعـــض الـــضيا بـــالظلم
أرســـــله الله لنــــا آيــــة ليعلمــــوا كيــــف زوال الـــنعم

وله أيضًا رحمه الله:

دارت عـــــــذار حبـــــيبي حـــــتى غـــدا وهـــو حـــاير
فيـــا لــــه حـــسن وجـــه دارت عليــــــه الـــــــدوايرْ

وقال آخر:

وخلــصني مـــن يـــدي عـــشقه ظـــلام علـــى خـــده حندســـه
كنـــست فـــؤادي مـــن حـــسنه ولحيتـــه كانـــت المكنـــسه

وقال آخر ولله در قائله:

مـــا فعـــل الله بـــاليهودي ولا بعـــــاد ولا ثمـــــود
ولا بفرعـــون مـــن عـــصاه مـــا فعـــل الـــشعر بالخـــدود

ما قيل في الأسماء[١٣]

في محمد بن عربي:

أمحمـــد عـــساك تـــشهد لي أني قتيــــل عيونــــك النّجــــل
فقــت المــلاح فأنــت خاتمهــا وكـــذا سميّــك خـــاتم الرســـل

(١٣) الجزء مجموع في الشعر مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور ص ١١١

وفيه أيضًا:

قـــالوا تـــشفّع بالجمـــال ... ولـــو تثبـــت كـــان أجـــود

فأجبـــت إني مـــسلم ... أرجـــو الـــشفاعة مـــن محمـــد

ولابن العفيف:

أيهـــا المـــودِّع قلـــبي ... نـــار وجـــد تتوقـــد

كيـــف تـــستاهل نـــارا ... مهجـــة تهـــوى محمـــد

وفي أحمد:

قد غـدا أحمـد لي مـا أجـود ... وكـان بالوصـل لنـا ينجـد

وإن يعـد يرضـى لعـشاقه ... فالوصـل يـا أحمـد لي أحمـد

وفيه أيضًا:

مـذ وفـا أحمـد وعـدي ... ولهيـب الـشوق أحمـد

فأنـا في كـل حـال ... أشـكر الله وأحمـد

آخر ولله در قائله:

ولقد قنعت من الحبيـب بنظـرة ... أطفـي بنـاري الـتي لا تخمـد

قالوا فمن شئت تحب؟ فأجبتـهم ... غصن النقا بدر الـدجى يـا أحمـد

وفي أبي بكر:

تعشّقت ظبيًا فاتن اللحـظ فـاترا ... أبو بكر يدعى خليفة طلعـة البـدر

فلا تنكروا وجدي فـإني محمـد ... وإني مـن أولى الـورى بـأبي بكـر

وفيه أيضًا:

بروحي أبا بكر فديت ومهجــتي مليحًا ببدر الــتمِّ في أفقــه يــذري
له طلعة كالبدر والغــصن قــدّه وناظر مــن بابــل جــاء بالــسحر

وللحجازي فيه أيضًا:

بمدح أبي بكر سمــوت فيــا لــه مليح أرانا وجهــه صــورة البــدر
ولا بدع إذ بالغت في مدحــه إذّا فأحمد من أولى الــورى بــأبي بكــر

ولشهاب الدين التلميح، وأنشده لنفسه:

مـــــن حبـــــيبي ووفـــــا وعـــــدًا لـــــه وحققـــــه
ولا عجيبًـــــا مـــــن أبي بكـــــر الوفـــــا مـــــا أصـــــدقه

وفي عمر:

ما علـــيهم في الهـــوى إذ نظـــروا حـــين سمـــوك وقـــالوا: عمـــر
أبـــدلوا قافـــك عينـــا غلطـــا أخطـــأوا مـــا أنـــت إلا قمـــر

وفي عثمان:

وافى إليّ بـــــشمعتين ووجهـــــه بـــضيائه يزهـــو علـــى القمـــرين
ناديت ما الاسم؟ يا كـــلّ المـــنى فأجـــابني عثمـــان ذو النـــورين

لغز في عثمان:

يـــا أيهـــا العـــارف في فنـــه ومّعـــي الفهـــم وعلـــم البيـــان

مــا قــولكم في أحــرف خمــسة | إذا مــضى حــرف تبقــى ثمــان

وفى علي:

قـــال العـــذول مـــذ رأى | قلـــبي بـــه في شـــغل
بمـــن فتنـــت في الـــورى؟ | فقلـــت دعـــني بعلـــي

وله عفا الله عنه:

بعلي قد همت مـا بـين الـورى | وبـه قلـبي المعـنى قـد بلـي
وإذا مـا غـاب عـني شخـصه | صـاح قلـبي وحـشة يـا لعلـي

ولابن حجر الحافظ رحمه الله:

قلـــت: هـــل لي مـــن دوا | قـــد غـــدا قلـــبي علـــيلا
قـــالوا ســـلوى كـــل حـــبٍّ | قلـــت إلا عـــن علـــي لا

وللحجازي في عبد العزيز:

إن عبد العزيز قـد جـاء نحـوي | شرح حـالي أغـنى عـن التمييـز
في هواه حقًّـا لقـد طـاب ذلي | حيث أصبحت عبـد عبـد العزيـز

وللأزهري في عبد القادر:

حبِي عبـد القـادر الـذي لـه | بهجـة حـسن والـورى عبيـده
وكيف لا أريـده بـين الـورى | والله يـــدرى أنـــني أريـــده

لغز في عبد الله:

اسم من أهواه يا سيدي ... فيه من العنبر حرفان
وأخو الورد تمام اسمه ... وواحد ليس له ثان

وفي عبد القوي:

عبد القوي سباني ... بقده السمهريّ
وصرت عبداً ضعيفاً ... في حب عبد القوي

وفي عبد اللطيف:

فتنت بعبد الليف الذي ... فطانته أسكنته الفؤاد
ولا عجب إن بدا لطفه ... فعبد اللطيف لطيف العباد

وفي عبد الحفيظ:

عبد الحفيظ الندي ... قد أنجح الله قصده
لا تخشى من ضياع ... فالله يحفظ عبده

وفي محمود:

يقول لي منكر حالي به ... من لك في ذا الحي مقصود
فقلت لا تسل بحق الهوى ... عنه فقصدي فيه محمود

وفيه يهجو:

ما كنت أحسب أني أجي إلى زمن ... يسبني فيه كلب وهو محمود

وفي إبراهيم:

عجبت النار في قلبي كيف تبقــى حرارقـــا وحبـــك تحتويــــه
فيـــا نيرانـــه كـــوني ســــلاما وبـــــرداً إن إبـــــراهيم فيـــــه

وفيه أيضًا:

لا زال بابـــك بالمكـــارم كعبـــة فتـــرى بهـــا للـــواردين رســـوم
حتى يقول القاصـــدون بـــأمرهم هـــذا المقـــام وأنـــت إبـــراهيم

ولابن نباتة في خليل:

يغيب خليـــل الحـــسن عـــني ليلـــة فأسأم من ليـــل طويـــل أراقبـــه
وكيف يطيب العيش عندي والكرى وليس إلى جنبي خلـــيلا ألاعبـــه

ولعز الدين الموصلي:

قال حِـــبي خليـــل غـــيرت ودي وتركـــت الفـــؤاد مـــني علـــيلا
بعد عشق المـــلاح صـــرت تقيًّـــا مـــا تراعـــي مـــن الأنـــام خلـــيلا

وقال في يعقوب:

يعقـــوب إني يوســـف قـــد تـــركتني من الحزن يعقوبًا وأصبحت يوســـفا
وأصبحت مخذولا وقد كنـــت ناصـــرا وكنت مليكًا صرت عبـــدًا مكلفـــا

ولابن الخياط فيه أيضًا:

رأيـــت أني في الكـــرى لاثمًـــا مبـــــسمك الـــــشافي آلامـــــي
يوســـــف أنبينـــــا بتأويلـــــه فقـــال هـــي أضـــغاث أحلامـــي

لغز فيه .. وأجاد:

يا سائلي عن اسم من أجبته ... إني بمن أهواه غير مصرح
فإذا أردت بيانه فاعمد إلى ... معكوس سابع كلمة في سبّحْ

وفي موسى:

رأيت في حلق غزالا ... تحير في وصفه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى ... فقلت هنا تحلق الذقون

وفي عيسى:

ناديت يا عيسى ترفّق بامرئ ... أحشاؤه قد أحرقت لماكا
عيسى بن مريم كان يحيي من يرى ... وتميت أنت الحي حين يراكا

في داود:

وثقت بأن قلبي من حديد ... وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب ... إذا داود لان له الحديد

وفيه أيضًا:

أمسى يقرّ بحسنه بدر الدجى ... وغداً يذوب بحسنه الجلمود
فإذا بدا فكأنما هو يوسف ... وإذا شدا فكأنه داوود

في سليمان:

له وجنة تدمى من اللحظ رقة ... يكاد بها ماء الشبيبة ينهل
فهذا سايمان لرقة خده ... إذا دبّ فبه النمل كلمه النمل

في خضر:

مهفهـــف طلعتـــه لـــيس بهـــا ومنـــاظره وقـــدّه غـــصن نـــضر
يجري لنـــا مـــاء الحيـــاة وثغـــره لا تعجبوا ماء الحيـــاة فهـــو خـــضر

في رجب:

دمـــوعي ربيـــع والرقـــاد محّـــرم على جفن عيني مذ هجرت بلا سبب
وفي القلب من شعبان نيران نصفه فجد لي بما أرجو من الوصل يا رجب

في شعبان:

شعبان قد أمـــسى يهـــز معاطفـــا أبدت حلاوة خـــصره مـــع ردفـــه
لا غرو إن لاحت عليـــه طـــلاوة شـــعبان كـــل حـــلاوة في نـــصفه

علي بن سودون في بركات:

رشأ يصيد الأســـد في اللفتـــات قد صـــاد كـــل فـــتى وكـــل فتـــاة
الوجه منـــه مبـــارك فـــإذا بـــدا لاتيأسن يـــا قلـــب مـــن بركـــات

ابن القيصراني في منصور:

يـــا قمـــر الوصـــل في جنـــة مـــا ســـكنت ولـــدالها الحـــور
كم حاربتك الشمس في حـــسنها وأنـــت يـــا منـــصور منـــصور

النواجي في نجم:

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني من وصله كل ما أهـــوى وأختـــار
حـــتى رمـــاني في نـــيران مهجتـــه فصحّ عنـــدي أن الـــنجم غـــرار

وله في سعد:

أنـــا قـــد همـــت بـــسعد	وتفانيـــــــت بوجـــــــده
فـــاطّرح نــــصحي ودعـــني	إنمـــــا المـــــرء بـــــسعده

وله في سعيد:

سمـــوا مـــني مهجـــتي ســـعيدا	ولي شـــــقاء بـــــه يزيـــــد
إذا اجتمعنـــا يقـــول صـــدري	هـــــذا شـــــقيٌّ وذا ســـــعيد

وله في قاسم:

شكوت له حالي وفرط صـبابتي	فتـــاه دلالا وانـــثنى وهـــو باســـم
وقال استعرت صبري وكن متأسيا	فنحن قسمنا وارض بالحـب قاسـم

ابن العطار في يحيى:

أيمكن ســـلوتي يحـــيى؟ وروحـــي	تكابـــد في هـــواه عليـــه أشـــيا
وقلـــبي يـــشتهي اكتئـــابي	ويرضـــى أن أمـــوت بحـــب يحـــيى

وله في هاشم:

في هاشـــم قلـــبي بـــدا دابيـــا	مـــن لحظـــه الفاتـــك بالعـــالم
وكسر قلـبي صـحّ في عـشقه	لقلـــة الإنـــصاف في هاشـــم

وله في عامر:

حبيبي يـدعى في الأنـام بعـامر	وأول عـــشقي لـــيس فيـــه آخـــر
يهدد قلـبي بالـصدود وبالجفـا	على أنّ فيه مـترل الـشوق عـامر

وله في فرج:

وليس لي مخلص أرجوالنجـــاة بـــه　　من الغامر فقد ضـــاقت بي الحجـــج
لكن أضمّن بيت القائل بن رجـــا　　كل الأمور وإن ضـــاقت لهـــا فـــرج

آخر:

يا لائمي في رشيق القـــد معتـــدل　　انظر فإن غرامـــي غـــير ذي عـــوج
أشكو الشدائد من وجد أكابـــده　　ولست أيأس في شكواي مـــن فـــرج

للحجاج في أمير حاج:

مننـــت بـــزورة للعيـــد يومـــا　　لـــك الـــرحمن بالحـــسنى يجـــازي
وأمـــا إن دعيـــت أمـــير حـــاج　　فـــلا بـــدع بحبـــك للحجـــازي

ولابن نباتة في عماد:

قـــــالوا العمـــــاد ملـــــيح　　أســـــبي جميـــــع العبـــــاد
بحـــــسنه قلـــــت قـــــصدي　　أنظـــــرت لـــــذات العمـــــاد

لعز الدين الموصلي في جرادة:

لقبـــوه جـــرادة وهـــو ظـــبي　　فـــاق حـــسنا ولم أعـــره شـــهاده
صدته فـــامتلأ فـــؤادي شـــحما　　لا تقولـــوا بـــأن صـــيدي جـــراده

لابن نباتة في إلياس:

أفـــدي مليحـــا في البرايـــا لم أزل　　طـــول الزمـــان عليـــه في وســـواس
قالوا أنقطعه كـــبيرا قلـــت مـــن　　راحات قلب المـــرء قطـــع اليـــاس

لغز في إسماعيل:

اسم من قد هويت ستّ حــروف نــصفها مــا تبــديت فاســتفهموها
عيل صبري تمــام اســم حبــيبي مــا علــى العــالمين لــو فهموهــا

لابن الصايغ في حسن:

إن الحــــــسود عنــــــدما عــــــين ذا الحــــــسن افــــــتتن
وقــــــال لا بــــــدع إذا أتــــــى علــــــيٌّ بالحــــــسن

وفي حسين:

حــسين ســباني حــسنه ولحاظــه وقامتــــه كالخيزرانــــة تنــــثني
رماني بسهم اللحظ قلت له: اتئــد سميــك مقتــول وأنــت قتلــتني

وفي بدر:

سمــــوه بــــدرا وذاك لمــــا أن فــــاق في حــــسنه وعمــــا
وأجمــــع النــــاس إذ رأوه بأنــــه اســــم علــــى مــــسمّى

وفي كمال الدين:

ديني تكمل مــذ جعلــتم قــبلتي وســـجدت في أعقـــابكم بجبـــيني
وغدوت أنشد في البريــة كلــها مــا الفخــر إلا في كمــال الــدين

في عز الدين:

مولاي عز الدين يــا مــن غــدا مادحــــه مــــا زال في عــــز
بكــم حقيقــا حــسنت حــالتي والــــذل قــــد بــــدل بــــالعزّ

في تاج الدين:

ببابك تاج الدين قد جئت مهديا جـــواهر لفـــظ لم يـــنلني تـــاجر
فزادت بهاء من عطائـــك ســـيدي وفي التاج أبهى ما يكـــون الجـــواهر

الشهاب الصائم في محب الدين:

في مـــــلاح لـــــك شـــــتى ضـــــعف القلـــــب وشـــــتًّا
كـــل ليـــالٍ مـــع غـــزال يـــا محـــب الـــدين بتًّـــا

في شرف الدين يهجو، وأجاد:

لقبـــوه شـــرف الـــدين يرجّـــون الـــسيادة
كيـــف يرجـــى منـــه خـــير وهـــو شـــرٌّ وزيـــادة

وفي زيتون يهجو فيه:

سمـــوك زيتونـــا فمـــا أنـــصفوا لـــو أنـــصفوك سمـــوك زعـــرورا
لأن للزيتـــون زيتـــا يـــضي وأنـــت لا زيـــت ولا نـــورا

في يونس:

وقالوا حبيب القلب بـــدر وقـــدّه حكى البدر وجهًا قلت: بل هو أملس
فلو لم يكن غصنًا لما كـــان مـــائلا ولو لم يكن بدرًا لمـــا كـــان يـــونس

آخر، وأجاد:

شغفت بفتان اللـــواحظ أهيـــف له مقلـــة ســـوداء والخـــد أطلـــس
فإن غاب عني تصورت شخـــصه فيوحشني والحب في القلـــب يـــونس

في مقبل:

يا من تحجب عن محـــب صـــادق　　مـــا زال عنـــه كـــل يـــوم يـــسأل
من لي بيوم فيـــه يـــسمح باللقـــا　　ويقـــال لي هـــذا حبيبـــك مقبـــل

في شاهين:

يا من تـــسمى بـــشاهين وسميتـــه　　خطف القلوب وبالألحـــاظ شـــاهينا
قد اشتهيناك بالـــشاهين لأنفـــسًا　　فهل ترى أنت يـــا شـــاهين شـــاهينا

في عنبر:

مـــــذ رآني عنـــــبر حبـــــيبي　　وعـــــرف ريـــــاه قـــــد تعطـــــر
أرشـــــفني مـــــن لمـــــاه خمـــــرًا　　وشـــــاقني مـــــن شـــــذاه عنـــــبر

في بشير:

بـــــــشير ســـــــبا مهجـــــــتي　　وجـــــــا كبـــــــدر مـــــــنير
وقـــــد جـــــاد لي بالرضـــــا　　وللواصـــــــل وافي بـــــــشير

في سنبل:

يقولون لي إذا زار في الحب ســـنبل　　وقد فاق ريّـــا نـــشره كـــل منـــدل
أهذا شذا مسك تـــضوع نـــشره　　فقلت له هذا شـــذا عـــرف ســـنبل

في كافور:

مذ زار كافورنـــا البـــديع ســـنا　　ووجهـــه حـــفّ مـــن ســـنا النـــور
شـــاهدت مـــن خالـــه بوجنتـــه　　نقطـــة مـــسك تبـــدو بكـــافور

في مسرور:

يقولون لي مسرور وافــاك زايــرًا   وقـــد بـــت بالـــصبابة ماســـورا

فقلت لهم قد زال همـــي بوصـــله   وقلبي به في الحب أصـــبح مـــسرورا

في ريحان، ولله درّه:

فـــديت ريحـــان صـــبا بـــالجوى   وبعـــاد قلـــبي شـــفه الأشـــحان

لما رنـــا بلحاظـــه مـــن نـــرجس   وبـــدا يعـــارض خـــده ريحـــان

في صبيح، وأجاد:

أرى صبيح مهجـــتي قـــد سـبى   وصـــير الـــدمع بخـــدّ يـــسيح

فكيـــف لي بالـــصبر عـــن حبـــه   وقـــد سـبى قلـــبي بوجـــه صـــبيح

في مبارك:

مبـــــــــارك ياعـــــــــذولي   أطلـــــــــت فيـــــــه مقالـــــــك

لــــو زارني كنــــت أحظـــى   منـــــــه بكعـــــــب مبـــــــارك

في فرج:

يـــا قلـــب إذا أتـــاني فـــرج   عـــساك بالوصـــل منـــه تبتـــهج

وربمـــا تبلـــغ المـــواد وكـــم   قـــد جـــاء عنـــد الـــضيق الفـــرج

ما قيل في المهن والحرف

في إسكاف:

رب إســـكافي ملـــيح حـــسنه   ذاب قلـــبي منـــه صـــدًّا وجفـــا

كلمـــا أشـــطو إليـــه ســـقمي قال ما عندي ســوى هــذا الــشفا

في بخانقي:

تـــسلطن في المـــلاح بخـــانقي ولم يـــرض ببـــدر الـــتم نايـــب
وصفّ له مـــن الأتـــراك جنـــدًا وأصـــبح موكبًـــا تحـــت العـــصايب

في حباك:

يـــا مليحًـــا مهـــذب مقلتـــه صـــاد قلـــبي منـــه بالـــشرك
مـــذ رأيـــت الحبـــك صـــنعته قلـــت هـــذا البـــدر في الحبـــك

عز الدين الموصلي، في حجام:

وحاجم في الكاس أجـرى دمًـا مـــن شـــاق ســـاقينا بإشـــفاق
لكنـــه خـــالف في شـــرطه فحكـــم الكـــاس علـــى الـــساق

في حريري:

حريـــري يبيـــع الحـــسن لكـــن شـــبيه الغـــصن والبـــدر المـــنير
كسى جسمي السقام ولا عجيب لثوب السقم مـــن هـــذا الحريـــري

وما أحسن من قال ما ينسج على تكّة ... وأجاد:

أنـــا قفـــل مـــن حريـــري... فـــــوق خـــــصر مـــــستدير
أنـــــــا لا أفـــــــتح إلا... عنـــــد أوقـــــات الـــــسرور

وقال في حداد، وأجاد:

تعشقت حـــدادًا بـــديع ملاحـــة له طلعة في الحـــسن تعلـــو وتـــشمخ

إذا رمت بالتطريق وصــلًا بقربــه   أراه ســـتر الغـــيظ ثم يـــنفخ

في حلاوي:

ريق الحلاوي أحلى من حلاوتــه   في خصره دنف والــردف منقــوش
والدمع سكب وأحشائي تقوضــه   والخد مني بمــاء الــدمع مرشــوش

لابن الوردي فيه أيضًا:

الحــــــلاوي قـــــال لي   أنـــــا للحـــــسن معـــــدن
ســــهم عـــــيني مِــــسبر   وعـــــــــدوي مكفـــــــــن

وللصفدي فيه أيضًا:

إن هذا الصبي الحــلاوي أضــحى   يــتجنى علــى الكثيــب ويحقــد
لا تعارضــه في هــواه بــشكوى   دعــه في دســته يحــل ويعقــد

في حوايجي:

حــــوايجي أتيـــت أســـأله   قلت له يا أخــا الرضــا صــف لي
في عنقــــي دمّــــل بــــه ورم   قــال يــداوى بمــرهم النخــل

لابن الوردي في خياط:

لمــا أتــى والمقــص في يــده..   وفـــصل العـــاتقين والبـــدنا
فقال وصــلا يعــوز قلــت لــه   العـــايز الوصـــل يـــا ملـــيح

وأيضًا فيه:

مررت بخياط حكى البــدر طلعــة   وشاكل غصن البان لمــا انــثنى قــدّا
يقد ويفــري الثــوب ثم يخيطــه   فلم ثوب قلبي لا يخــاط وقــد قــدا

وللأزميري فيه أيضًا:

لله خيـــــاط إذا ســـــألته وصـــلا أراه جـــا بـــالمطلوب
وإن شـــكوت غمّـــتي لردفـــه فرجهـــا بالوصـــل والركـــوب

في ذهبي:

عـــشقته ذهـــبيّ اللـــون طلعتـــه أبهى من البدر بل أبهى من الـــشهب
إن ملت طبعًـــا إليـــه ذا عجـــب فالناس بالطبع قد مالوا إلى الـــذهب

وفيه أيضًا:

إلى الـــــذهبي صـــــبا قلـــــبي وكـــــم يـــــدعوه للعطـــــب
ألم تـــــروني علـــــى شـــــغفي أحـــــب الرضـــــع في الـــــذهب

وفي راشد:

أقـــول لراشـــدي لمـــا تبـــدّى عـــساه يكـــون لي بالوصـــل ناجـــد
بحسن جمالـــك الحـــسن المفـــدى إلى العـــشاق قـــد وافـــاك راشـــد

وفي رسام:

هويت رســـاما كبـــدر الـــدجى وثغـــــر كالـــــدرُّ إذا تبـــــسم
قلت لـــه صـــلني ولـــو ســـاعة ثـــال: بكـــم؟ قلـــت: بمـــا ترسّـــم

وفي رفّا:

يـــا رافيّـــا قطـــع كـــل ثـــوب يـــا بغيـــة الـــنفس يـــا مـــرادي
عـــسى بخـــيط الوصـــال تـــرفي مـــا فـــرق الهجـــر مـــن فـــؤادي

وللصفدي فيه أيضًا:

ورفّـــاء لـــه وجـــه ملـــيح   محاســـنه البديعـــة لـــيس تخفـــى
شـــغلت بـــه الفـــؤاد ولا زمانًـــا   أرى ثـــوب الفـــؤاد يعـــد زرفـــا

في بياع ريحان:

يـــا صـــاح ريحاننـــا قـــد زارني   وبكـــاس فيـــه لمـــا ســـقاني
لمـــا نظـــرت إلى شـــقايق خـــده   ســـلب الفـــؤاد عـــذاره الريحـــان

وللصفدي في سكرى:

سبتني صفات السكرى الذي لـــه   بـــضاعته حـــتى عـــدمت قـــراري
مكرر لفظ في ســـنينات مبـــسم   وأحمـــر خـــدٍّ في نبـــات عـــذار

ولابن العربي ... في مليح يسبي الفؤاد:

وظـــبي يطـــرق بمرآتـــه   فيـــسبي فـــؤادي مـــن لطفـــه
وهيهات أن أرتجـــي مـــن هـــواه   خلاصًـــا ودفـــني في كفـــه

ولبدر الدماميني في سبّاك:

ســـبّاك تـــبر وفـــضة صـــنعته   نـــواه قلـــبي فـــسّره إذ ذاكـــا
قلـــت لـــه ســـبني أنـــا وأخـــي   قـــال نعـــم مـــذ عـــشقت ســـبّاكا

وقال آخر، وأجاد في سروجي:

فتنـــت بـــه شـــروجيّا بـــديعا   به قد ذبـــت وجـــدًا مـــن ضـــجيج
إذا جـــذب الغـــرام لـــه عنـــاني   يلذّ لي الركـــوب علـــى الـــسروج

في سقّا:

لله ســـــقّا لــــــه طلعــــــة لكـــل حـــين قـــد غـــدا راويـــه
أروم أن يـــــسكب لي قربـــــة وعــــبرتني مــــن صــــبوتي راويـــه

وللأزميري فيه أيضًا:

عشقت ســقا كــالزلال رضــابه فكأنـــه مـــن خمـــر فيـــه انتـــشا
يروي المــبرد عـــن لمـــاه كـــاملا وإليـــه قلـــبي لم يـــزل متعطـــشا

ولشيخ الشيوخ بحماة في شرابي:

ســـألته مـــن ريقـــه شـــربة أطفـــى بهـــا كبـــدي جمـــره
فقال أخشى يـــا شـــديد الظمـــا أن تتبـــع الـــشربة بالحـــسره

ولابن الصايغ في شماع:

نظـــرت إليـــه شماعـــا مليحـــا جميـــع الحـــسن منـــسوب إليـــه
لـــه خـــد جمـــر لا لهيـــب يذوب الـــشمع مـــن أســـف عليـــه

مواليا في صابوني:

حبيت أهيف رقيق الخصر صـــابوني لما هجر قلت عين النـــاس صـــابوني
والله لـــو فتـــشوا قلـــبي لـــصابوني ما خلت عنه ولو بالنبـــل صـــابوني

ولبدر الدين الدماميني في صايغ:

وصايغ شادن هـــام الفـــؤاد بـــه وحبه في صميم القلـــب قـــد رســـا
يا ليتني كنت منفاخا علـــى فمـــه حـــتى أقبـــل فـــاه كلمـــا نفخـــا

وله أيضًا في طبيب:

طبيب يحاكي الغصن في حركاتــه ... أصــيّر روحـــي في هــواه ســبيلا
عجبا له يــبري الــسقام بلطفــه ... وبطرفــه يــدعى الــسقام علــيلا

وله في طحان:

لله طحـــان تبـــدى وجهـــه ... قمــرًا لــه قمــر الــسماء رقيــق
وجناتــه مــاء ولكــن قلبــه ... حجــر وأمــا خــصره فــدقيق

وله أيضًا في عطار:

قلــت لطــار بــه صــبوتي ... محمــودة والــصبر لا يــستطاب
أســقيني كــأس غرامــي بــه ... ذبت ومن فيــك بــراني الــشراب

وفي مليح جالس عند عطار:

وعطــار مــررت عليــه يومــا ... وجــدت بجنبــه ظبيًــا رمــاني
فقلــت لــه أعنــدك مــاء ورد؟ ... فقال: نعــم، وعنــدي مــا لــساني

ولابن الفرس، وأجاد في عوام:

يا حسن عــوام كغــصن النقــا ... يبخـــل بالوصـــل لمـــن هامـــا
ويقنـــع العـــشاق منـــه بـــأن ... يـــــريهم الأرداف إن عامــــا

وقال آخره، وأجاد في فاخران:

ســباني فــاخران بــديع حــسن ... رمــى في القلــب بــالبحران جمــره
فهمت مــن الغــرام لــه بحــبّ ... وقــصدي منــه أن أحظــى بجــرّه

وفي قباني:

أشرت إلى الحبيب وقـد تبـدى بقبـان ودمـع العـين سـايل
فـدل بحـسنه تيهًـا ونـادى إشـارات المحـب لهـا دلايـل

وللسيد محمد رضوان الرعاد في قصَّاص:

أشكو إلى الله قـصاصا يجـرعني بالصد والهجر أنواعًا مـن القـصص
إن تحسن القـص يمنـاه فمقلتـه أيضًا تقصُّ علينا أحـسن القـصص

في بايع الكتان:

ربـح محـب لم يـزل قلبـه مـن بـايع الكتـان مـن ربـط
من طلب التـسريح مـن حبـه سـرّحه لكـن علـى المـشط

ولابن الوردي في كفتي:

لي كفـي ضـباني حـسنه لا أرى مـن محبـة لي مخرجًـا
مـذ تبـدى في حديـد فحكـى قمـرًا طـرز بالبـدر الـدجى

ولابن العفيف في كواني:

اسـم حبـيي ومـا يعـاني قـد أظهـرا لـوعتي ولـبي
قـالوا علـي فقلـت قـد قـالوا كـواني فقلـت قلـبي

وقال آخر في مليح مكحول:

يا أيها الرشـأ المكحـول نـاظره بالسحر حسبك قدأحرقت أحـشائي
إن انغماسك في التيار حقـق أن الشمس تغرب في عـين مـن المـاء

ولابن الوردي في مزين:

بـــأبي شـــادن تملـــك روحـــي بجـــــبين وتحتـــــه مقلتـــــان
مسك الكلبـــتين قلـــت عجيـــب مـــن غـــزال بكفـــه كلبتـــان

ولأبي الفضل بن أبي الوفا في مجبر:

أحببت من بـــين الأنـــام مجـــبرا حسن الشمائل شبه ظـــبي أحـــوري
ناديتـــه قلـــبي كـــسير بـــالجوى فاسمح وكن بالوصل منـــك مجـــبري

ولابن الوردي في مهاميزي:

صباح هـــذا المهـــاميزي عارضـــه بالحسن أصـــبح أرقـــم وتطريـــزي
وجاد بالوصل لي يوما رفست على أكبـــاد مـــن لام فيـــه بالمهـــاميزي

ولآخر لبايع الفخار:

بـــــايع الفخـــــار بـــــدر قـــــال للعاشـــــق جهـــــره
مـــا الـــذي تبغيـــه منّـــي قـــال قـــصدي ألـــف جـــرّه

وفي ملالي:

مـــلالي العـــراق نـــوى حجـــازا بـــه العـــشاق وجـــدا قـــد أمـــالا
إذا ســـألوا وداعـــا لم يجبـــهم بـــــلا إيـــــه ولا نعـــــم ولا لا

وقال ابن عربي في ناتف:

وقالوادع المحبوب واهجره دائمـــا ألم تـــره بعـــد الملاحـــة ينتـــف
أينتف من أجلي ويتعـــب نفـــسه وأهجره تـــالله مـــا أنـــت منـــصف

ولابن الوردي في نطاع:

هويـــت نطاعـــا إذا جيتـــه ... بـــادرني بـــاللحظ والـــصفع
أروم أن أحظـــى بوصـــل وقـــد ... قـــابلني بالـــسيف والنطـــع

وللسراج الوراق في ورّاق:

يـــا حـــسن وراق أي خـــده ... قـــد راق في التقبيـــل عنـــدي ورق
تمـــيس في الـــدكان أعطافـــه ... ما أحسن الأغـــصان بـــين الـــروق

وقال ابن حبيب فيه أيضًا:

فتنـــت بحـــسن وراق نفـــور ... بقلب الـــصب نـــار البحـــر أصـــلا
صقيل الوجـــه كـــم ذرح لديـــه ... ويغـــضب إن طلبنـــا منـــه وصـــلا

وللسيد محمد رضوان الرعاد في وقاد:

أحببـــت وقـــادا كبـــدر طـــالع ... أنزلتـــه برضـــى الغـــرام فـــؤادي
وأنا الشهاب فلا تعانـــد عـــاذل ... إن ملـــت نحـــو الكوكـــب الوقـــاد

وللصفدي في قطان:

قطاننـــــــــا مهفهـــــــــف ... تعتلـــــــــــه أردافـــــــــــه
ناديـــت مـــن وجـــدي بـــه ... يـــــا ليـــــتني ندافـــــه

وله في بياع مرسين:

يـــا صـــاع مرســـيننا لـــو زارني ... يومًـــا لكـــان بوصـــله يـــشفيني

لما نظـــرت إلى ريـــاض خـــدوده   ســـلب الفـــؤاد عـــذاره المرســـيني

وله في بياع نرجس:

بـــالروح أفـــدي فوجيـــا خـــدّه   ورد وآس عـــــذاره كالــــسندس
لما دنـــا ونظـــرت روض جمالـــه   نزّهت طـــرفي في عيـــون النـــرجس

وله في بياع بنفسج:

ســـــــبا بنفـــــــسجنا   بحـــــسنه قلـــــبي الـــــشجي
لمـــــا بـــــدا في خـــــده   عـــــــذاره البنفـــــــسجي

وله في بياع تفاح:

لله مـــــن بيـــــاع تفـــــاح إذا   غلـــبني بحـــسن جبينـــه الوضـــاح
لما نظرت لحـــسن نـــرجس كفـــه   هـــام الفـــؤاد بخـــده التفـــاح

وله في بياع سفرجل:

لله مـــــن ســـــفرجلي شـــــاقني   بغـــنج طـــرف بـــابليّ أكحـــل
حيا بكاس الراس مـــع القرنفـــل   ما أحسن الـــراح مـــع الـــسفرجل

وله في بياع الورد:

لله وردٌ نبـــا البـــديع ســـنا   وما جـــرى في الثغـــر مـــن شـــهد
لمـــا تأملـــت روض وجنتـــه   تـــيم قلـــبي بخـــده الـــورد

عداوة النساء

طاعتهن تردي العقلاء وتذل الأعزاء

ذم بعض الحكماء من القدماء جماعة النساء، فقال: هن نار توهج، وسلّم إلى كل بلاء، وهن مثل شجرة الدفلي، لهـا رونق وبها ثمر، إذا أكله البعير آذاه، وقد يودي به.

ومن أمثالهم: طاعة النساء تردي العقلاء، وتذل الأعزاء .. ونظـر بعـض الصالحين إلى امرأة تتزين وتتعطر، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسـنها، وزاد جمالها، فقال لمن حوله: إنما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت، واشتد حرُّها، وضاءت للناس، فهي حسنة المنظر، تحرق من دنا منها.

وقال بعض الحكماء: الكيس من لم تضطره النساء. وقال أيضًا: من كانت لذته في النساء وقع في أعظم البلاء.

وقال: من أراد أن يعيش عيشة رغد، ويحيا حياة بلا نكـد، فـلا يشغل فكره بشهوة النساء، ولا يومئ إليهن بطرفه ولا بيده.

وقال حكيم: كل أسير يفتك إلا أسير النساء فإنه غير مفكـوك، وكل مالك يملك إلا مالك النساء فإنه مملوك، وما استرعين شيئا قـط إلا وضاع، ولا استؤمن على سرٍّ إلا ذاع، ولا أطقن شرًا فقصرن عنـه، ولا حوين خيرًا فأبقين منه، فقيل له: كيف تذمهن، ولولاهن لم تكن أنـت ولا أمثالك من الحكماء؟! فقال: مثل المرأة مثل النخلة الكـثيرة الـسلاء، لا

يلامسها جسد إلا اشتكى، وحملها مع ذلــك الرطــب الطيــب الجــني. والسلاء: جمع سلاة وهي شوك النخل.

وروى فيهن: أهن محملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار، وأهن يسرعن اللعن، ويكثرن الطعن. وفي الحديث: أهن يكفرن العشير، وينكرن الإحسان، لــو أحــسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط!

وقال لقمان: استعذ بالله من شرار النساء، وكن من خيارهن على حذر.

وقيل لبقراط: أي السباع أحسن صورة؟ فقال: النساء.

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها، فقال: قد ذهب نصف الشر.

ورأى البحر قد حمل امرأة، فقال: شر يجني شرًا. ورأى رأس امرأة على شجرة فقال: ليت كل الشجر يثمر مثل هذا الثمر.

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعرس، وقد زيــن داره وزوقها، وكتب على الباب: «لا يدخل علي من هذا الباب شيء من الشر»، فقالت له: «فامرأتك من أين تدخل؟».

وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال لهن: "اسكتن، فإنما أنتن لعب، إذا فرغ لكن، لعب بكن".

وقيل: إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربنه، فقال لأصحابه: كفوا عنهن، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر، وإن غلبنا فهي الفضيحة الباقي مع الدهر.

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال، وأن أزواجهن يسكن ناحية منهن، فمتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها فقضى مدة عندها وانصرف، فإذا ولدت ولدًا ربته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه، وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى ييبس لئلا يمنعها الطعن بالرمح، وتركت الآخر الأيسر لترضع به ولدها، ومع هذا فلا تؤمن صحبتهن، ولكن لا بد من الأدب في ذلك.

قال عمر – رضي الله عنه –: "عودوا نساءكم – لا، فإن – نعم –– تجريهن على الألسنة". وفي الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:«شاوروهن وخالفوهن»، وقال علي – رضي الله عنه – لابنه محمد بن الحنفية: إياك يا بني ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى الأفن، وعزمهن إلى الواهن، واكفف عليهن من أنصارهن بحجبك إياهن، وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل، ولا تطل الجلوس معهن فيهلكنك وتملّهن، واستبق من نفسك بقية".

وقال النبي – عليه الصلاة والسلام– : "كمل من الرجال كثير، ولم تكمل من النساء إلا امرأتان: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران".

وخاطب النبي عليه – صلوات الله وسلامه – نسوة فقال لهن: "إنكن إذا جعتن دقعتن، وإذا شبعتن أشرتن"، وفي بعض الروايات ورد بدلًا من لفظ (أشرتن: حجلتن) ومعنى (دقعتن: خضعتن ولصقتن بالدقعاء، وهي غبرة التراب، ويقال: فقر مدقع، أي ملصق بالدقعاء. وقالوا: رماه الله بالدوقعة، وهي الفقر والذل، وجوع ديقوع: أي شديد.

وقال النبي – عليه أفضل الصلاة والسلام – في النساء: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"، وفي الشهاب: النساء حبائل الشيطان. وقال سعيد بن المسيب – رحمه الله – : ما أيس الشيطان منشئ إلا أتاه من قبل النساء. وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهب بصره: ما شيء أخوف عندي من النساء. وقال بعضهم في هذا المعنى:

أضر شيء على الإنسان شهوته ... تلك التي أوردته لُجة النكد

إن الفضول لعمر الله أدخله ... في أن يكابد همّ الأهل والولد

يحتاج دارا وأهل الدار يطلبه ... كل بشهوته فليعط أو... يَعِدِ

فاضطره الحال أن يسعى ليرضيهم ... فظل من بلد يسري إلى بلد

كأنه حجر يرمي به نزق ... من ها هنا لهنا، أو من يدٍ ليد

ما همه الدهر إلا ما يؤلفه ... وما يجمعه من جيد وردي

وما يبالي حراما منه ذاك أتى ... فعل امرئ ليس في الأخرى بمعتقد

حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من ... تلك النهاويش بعد الأين والجهد

أمسى يفرقها فيهم ونيّته ... في كسب أخرى كذا دأبا بلا أمد

وربما أسخط المسكين خالقه ... إذ ليس في فعله هذا بمقتصد بالمكر

الفرض ضيعه، والدين أتلفه ... والغش، ثم الغل والحسدد

وكل ذلك من أجل النساء فلا ... أهلا بهن ولا قربن من خلد

يسلبن لبّ ذوي العقل الرصين كما ... يصرعن من كان ذا أيد وذا جلد

يا رب شهوة وقعت أورثت غصصا ... وأعقبت حسرات آخر الأمد

قد كان في شغل عنهن قاطبة ... بهمٍّ عيشته لو كان ذا رشد

لكنه عميت عن ذاك مقلته ... حتى هوى مُكرها في هوة الأسد

ومن شعر أبي العمران الميرتلي - رحمه الله -:

وقـــالوا : تـــزوج فـــنعم الفتـــاة عرضـــنا عليـــك تنـــل خيرهـــا
ولـــو أســـتطيع لطلقـــت نفـــسي فكيـــف أضـــيف لهـــا غيرهـــا
أأشـــقى بهـــا دون مـــا ضـــرة وآمـــن مـــن ضـــرة ضـــيرها
وما تقنـــع العـــرس مـــني بـــشيء ســـوى أن تـــصيرني عيرهـــا
فنفـــسي أولى بنفـــسي، ودع ســـواها تـــسرْ وتـــصل ســـيرها

بنات الأربعين من الرزايا

أنشدني أبو عبد الله اليزيدي، قال: أنشدني عمي لمحمد بن عبد الله بن طاهر:

مطيـــات الـــسرور بنـــات عـــشر إلى عـــشرين ثم قـــف المطايـــا
فـــإن جـــاوزتهن فـــسر قلـــيلا بنـــات الأربعـــين مـــن الرزايـــا
مقاســـاة النـــساء مـــع الليـــالي إذا أولـــدتهم مـــن البلايـــا



طرائف عن الحب

حيلة عاشق

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفه مع «عُتْبَة» جارية المهدي، تدل على كمال ظرفه؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» قال: إن أبا العتاهية لما ألح في أمر «عتبة» لأول دخوله بغداد، ولم ينل منها شيئًا، وجدها يومًا قد جلست في أصحاب الجوهر، فمضى فلبس ثياب راهب، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه، وسأل عن رجل كبير في السوق، فدل على شيخ صائغ، فجاء إليه فقال:

إني قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة .. يعني «عُتبة».

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق، وجاء إلى «عتبة» فقال لها: إن الله قد ساق إليك أجرًا، هذا هو راهب قد رغب في الإسلام على يديك. فقالت: هاتوه. فدنا أبو العتاهية منها، وهو في زي الراهب، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم قطع الزنار، ومال على يدها فقبلها.

فلما فعل ذلك، رفعت البرنس عن وجهه، فعرفته وقالت: نحُّوه، لعنه الله! فقالوا لها: لا تلعنيه فقد أسلم. فقالت: إنما فعلت ذلك لقذره.

فعرضوا عليه كسوة، فقال: ليس لي حاجة إلى هذه، وإنما أردت أن أشرف بولائها، فالحمد لله الذي من علي بحضوركم.

وجلس أبو العتاهية، فجعلوا يعلمونه (الحمد) وصلى معهم العصر، وهو في ذاك ينظر إليها، لا تقدر له على حيلة!

وحدّث المبرد: أن «ريطة» بنت أبي العباس السفاح، وجهت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي في شراء رقيق للعتق، وأمرت جاريتها (عُتبة) – وكانت لها ثم صحبت «الخيزران» بعدها – أن تحضر ذلك. فإنها لجالسة إذ جاء «أبو العتاهية» في زي متنسك فقال لها: جعلني الله فداك، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة، فإن رأيت – أعزك الله – شرائي وعتقي، فعلت مأجورة، فأقبلت على عبد الله فقالت: إني لأرى هيئة جميلة، وضعفًا ظاهرًا، ولسانًا فصيحًا، ورجلًا بليغًا، فاشتره وأعتقه. فقال: نعم أفعل، ثم قال لها أبو العتاهية: أتأذنين لي — أصلحك الله — في تقبيل يدك؟ فأذنت له، فقبل يدها وانصرف؛ فضحك عبد الله بن مالك وقال لها: أتدرين من هذا؟ فقالت: لا. قال: هذا أبو العتاهية، وإنما احتال عليك حتى قبّل يدك!

بين الحب والمال

وكان أبو العتاهية قد قصد بغداد من الكوفة، مع زميلين له، ليستفيد بشعره عند أمرائها، ولم يكن لهم في بغداد من يقصدونه، فترلوا غرفة بالقرب من الجسر، وكانوا يبكرون فيجلسون بالمسجد الذي بباب الجسر في كل غداة، فمرت بهم يومًا امرأة راكبة، معها خدم سودان،

فقالوا: من هذه؟ قالوا: خالصة. فقال أحدهم: قد عشقت خالصة. وعمل فيها شعرًا أعانوه عليه، ثم مرت بهم أخرى، راكبة أيضًا، ومعهـــا خـــدم بيضان. فقالوا: من هذه؟ قالوا: هذه (عتبة)، فقال أبو العتاهية: قد عشقت عتبة، وعمل فيها شعرًا.

ولم يزالوا كذلك، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين، وتحدث الناس بعشق أبي العتاهية وزميله لهما، فقال صـــاحبا الجـــاريتين: نمـــتحن العاشقين بمال على أن يدعا التعرض للجاريتين، فإن قـــبلا المـــال كانـــا مستأكلين، وإن لم يقبلاه كانا عاشقين.

فلما كان الغد، مرت (عتبة) فعرضلها صاحبها، فقال له الخـــدم: اتبعنا، فتبعهم، فمضت به إلى مترل خليط لها يزار، فلما جلست دعت به، فقالت له: يا هذا، إنك شاب، وأرى لك أدبًا، وأنا حرمة خليفـــة، وقـــد تأنيتك، فإن أنت كففت وإلا أنهيت ذلك إلى أمـــير المـــؤمنين، ثم لم آمـــن عليك.

فقال لها أبو العتاهية: فافعلي، بأبي أنت وأمي، فإنك إن ســـفكت دمي أرحتني، فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب!

فقالت له: أبق على نفسك، وخذ هذه الخمس مائة دينار، واخرج عن هذا البلد، فلما سمع ذكر المال ولى هاربًا، فقالت: ردوه، وألحت عليه فيها. فقال لها: جعلت فداك، ما أصنع بعرض زائل من الدنيا وأنا لا أراك؟ ... والله إنك لتبطئين يومًا واحدًا عن الركوب، فتضيق عليّ الـــدنيا بمـــا رحبت، فزادت له في الدنانير، وما زالت تلح عليه فلا يزداد إلا رفضًا.

قليل منك يكفيني

ومن ألطف ما قاله أبو العتاهية في (عتبة) قوله:

بالله يا حلــوة العيــنين زوريــني   قبــل الممــات وإلا فاســتزيريني
هذان أمران فاختــاري أحبــهما   إليك أو لا فداعي المــوت يــدعوني
إن شئت موتا فأنت الدهر مالكــة   روحي وإن شئت أن أحيــا فــأحييني
يا عتب ما أنت إلا بدعة خلقــت   من غير طين وخلق الناس مــن طــين
إني لأعجب مــن حــب يقــربني   ممــا يباعــدني عنــه ويقــصيني
لو كان ينصفني ممــا كلفــت بــه   إذن رضــيت وكــان يرضــيني
يا أهل ودّي إني قد لطفت بكــم   في الحب جهدي ولكــن لا تبــالوني
الحمــد لله قــد كنــا نظنكمــو   من أرحم النــاس طــرّاً بالمــساكين
أما الكثير فلا أرجوه منــك ولــو   أطعمــتني في قليــل كــان يكفــيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى، يقول في إحداها:

ألا يا عتب يــا قمــر الرصــافة   يــا ذات الملاحــة والنظافــة
رزقت مــودتي ورزقــت عطفــي   ولم أرزق – فديتك – منــك رافــة
وصرت من الهوى دنفــا ســقيما   صــريعًا كالــصريع مــن الــسلافة
أظــل إذا رأيتــك مــستكينا   كأنــك قــد بُعثــت علــي آفــة

ومن قوله فيها أيضًا:

قــال لي أحمــد ولم يــدر مــا بي   أتحــب الغــداى عتبــة حقــا؟
فتنفست ثم قلــت: نعــم حبّــا   جــرى في العــروق عرقــا فعرقــا
لــو تجــسِّين يــا عتيبــة قلــبي   لوجــدت الفــؤاد قرحــا تفقّــا
قد لعمري مــلَّ الطبيــب ومــل   الأهــل مــني ممــا أقاســي وألقــى

ليــتني مـــت فاســترحت فـــإني أبدا– مــا حييــت – منـــه ملقـــى

وفيها يقول:

عتــــــب مـــــا للخيــــــال خـــــــــبيرني ومـــــــــالي؟
لا أراه.. أتـــــــــــــــاني زائـــــــرًا.. مــــــذ ليــــــالِ
لـــــــــو...رآني صـــــــديقي رق لي، أو رثـــــــــــــــى لي
أو.. يـــــــــراني عـــــــدوي لان مـــــــن ســـــوء حـــــالي

من الحب إلى الزهد

وحدث أبو العباس: أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتبة)، فوعده بتزويجها، وأنه سيسألها في ذلك، فإن أجابت جهزها له، وأعطاه مالًا عظيمًا، ثم إن الرشيد سنح له شغل استمر به، فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه، فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح، فدخل بها على الرشيد وهو يبتسم، وكانت مجتمعة، فقــرأ علــى واحدة منها مكتوبًا:

ولقد تنــسّمت الريـــاح لحــاجتي فـــإذا لهـــا مـــن راحتيـــك شمـــيم

فقال الرشيد: أحسن الخبيث. إذن ... عليّ بالثانية، وكان مكتوبًا عليها:

أغلقت نفسي من رجائك ما لـــه عنـــق يخـــث إليـــك بي ورســـيم

فقال الرشيد: علي بالثالثة، وكان مكتوبًا عليها:

ولربمـــا استأســـيت ثم أقـــول:لا إن الـــذي ضـــمن النجـــاح كـــريم

فقال الرشيد: قاتله الله، ما أحسن ما قال، ثم دعا به، وقال له: قد ضمنت لك يا أبا العتاهية، وفي غد نقضي حاجتك إن شاء الله، وبعث إلى (عتبة)، وقال لها: إن لي إليك حاجة، فانتظريني الليلة في مترلك.

فأكبرت (عتبة) ذلك وأعظمته، وصارت إليه تستعفيه، فحلف ألا يذكر لها حاجته إلا في مترلها.

فلما كان الليل سار إليها، ومعه جماعة من خواص خدمه، فقال لها: لست أذكر حاجتي أو تضمنين قضاءها؟ قالت: أنا أمتُك، وأمرك نافـــذ فيّ ... فيما خلا أمر أبي العتاهية، فإني حلفت لأبيك – رضي الله عنه – بكل يمين يحلف بها بر وفاجر، وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية، كلما انقضت عني حجة وجبت عليّ أخرى، لا أقتصر على الكفارة، وكلما أفدت شيئًا تصدقت به، إلا ما أصلّي فيه.

وبكت بين يديه، فرق لها ورحمها، وانصرف عنها.

وغدا عليه أبو العتاهية، فقال له الرشيد: والله ما قصرت في أمرك، ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك، وشرح له الخبر.

قال أبو العتاهية: فلما أخبرني الرشيد بذلك، مكثت مليًّا لا أدري أين أنا قائم أو قاعد؟ قلت: الآن يئست منها إذ ردّتك، وعلمت أنها لا تجيـــب أحدًا بعدك.

ثم لبس أبو العتاهية الصوف، وتزهد، وقال في ذلك شعرًا كثيرًا، منه قوله:

قطعـــت منـــك حبائـــل الآمـــال وحططت عن ظهـــر المطـــيّ رحـــالي
ووجدت برد اليأس بين جـــوانحي فغنيت عـــن حـــل وعـــن ترحـــال

وروى أبو سلمة الغَنويّ أنه قال لأبي العتاهية: ما الذي صرفك عن قـــول الغزل إلى قول الزهد؟ فقال أبو العتاهية: إذن والله أخبرك، إني لما قلت:

الله بـــــيني وبـــــين مـــــولاتي ... أبـــــدت لي الــــصد والمـــــلالات
منحتــــها مهجـــتي وخالـــصتي ... فكـــــان هجرانهـــــا..مكافـــــاتي
هـــــيَّمني حبــــها، وصـــــيرني ... أحدوثـــــة في جميـــــع جـــــاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة، كأن آتيا أتاني فقال: ما أصبت أحـــدًا تدخلـــه بينك وبين عتبة، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعـــالى؟! ... فانتبـــهت مذعورًا، وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل.

معي بين أضْلُعي

المحبة هي بذلُك المجهود فيما يرضي الحبيب[1]. وقيل: هي ســـكون بلا اضطراب، واضطراب بلا سكون، يضطرب القلب فلا يـــسكن إلا إلى محبوبه، ولا يزال يضطرب شوقًا إليه حتى يسكن عنده، وهذا معنى قولهم: هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب، وسكونه عنده، وقيـــل: هـــي مصاحبة المحبوب على الدوام، كما قيل:

ومـــن عجـــب أني أحـــنّ إلـــيهم ... وأسأل عنهم من لقيت وهـــم معـــي
وتطلبهم يني وهـــم في ســـوادها ... ويشتاقهم قلبي وهـــم بـــين أضـــلعي

يرى الفؤاد الروحين يمتزجان

وقال ابن الرومي:

---

(١) في روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩

أعانقهــا والـــنفس بعـــد مـــشوقة إليها، وهـــل بعـــد العنـــاق تـــدان؟
وألثم فاهـــا كـــي تـــزول صـــبابتي فيشتد مـــا عنـــدي مـــن الخفقـــان
ولم يك مقدار الذي بي مـــن الجـــوى ليـــشفيه مـــا ترشـــف الـــشفتان
كأن فؤادي لـــيس يـــشفي غليلـــه سوى أن يـــرى الـــروحين يمتزجـــان

لئن ساءني لقد سرني

وقال عبد الله بن الدمينة:

لو قلت: طأ في النار أعلـــم أنـــه رضًا لك أن مدن لنـــا مـــن وصـــالك
لقدمت رجلي نحوهـــا..فوطئتـــها هُدى منك لي، أو.. ضِلة من ضـــلالك
لئن ســـاءني أن نلـــتني بمـــساءة لقـــد ســـرني أني خطَـــرت ببالـــك

العشق عفة ونزاهة

قال الشاعر:

إذا كان حظ المـــرء ممـــن يحبـــه حرامًا فحظـــى مـــا يحـــل ويجمـــل
حديث كماء المُزن بـــين فـــصوله عتاب به حـــسن الحـــديث يفـــصل
ولثم فم عـــذب اللثـــاب، كأنمـــا جناهن شـــهد فـــتّ فيـــه القرنفـــل
وما العـــشق إلا عفـــة ونزاهـــة وأنـــس قلـــوب أنـــسهن التغـــزل
وإني لأستحي الحبيب مـــن الـــتي تريـــب، وأدعـــى للجميـــل فأجمـــل

الطرف رسول رائد للقلب

قال الأصمعي: رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة، فجعلت أنظـــر إليها وأملأ عيني من محاسنها، فقالت لي: يا هذا ما شأنك؟ قلت: وما عليك من النظر؟ فأنشأت تقول:

زكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وقال الفرزدق:

تزوّد منها نظرة لم تدع له ... فؤادا ولم يشعر بما قد تزودا
فلم أر مقتولا ولم أر قاتلا ... بغير سلاح مثلها حين أقصدا

وقال آخر:

ومن كان يؤتى من عدو وحاسد ... فإني من عيني أتيت ومن قلبي
هما اعتوراني: نظرة ثم فكرة ... فما أبقيا لي من رقاد ولا لبِّ

وفال ابن المعتز:

متيم يرعى النجوم الدجى ... يبكي عليه رحمة عاذله
عيني أشاطت بدمي في الهوى ... فابكوا قتيلا بعضه قاتله

وقال الأرجاني:

تمتعتما يا مقلتيّ بنظرة ... وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيني كفّا عن فؤادي فإنه ... من الظلم سعي اثنين في قتل واحد

وقال آخر:

عاتبت لقلبي لما ... رأيت جسمي نحيلا
فألزم القلب طرفي ... وقال: كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي ... بل كنت أنت السَّؤولا
فقلت : كفا جميعا ... تركتماني قتيلا

لذة الحب كلها

قال الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية: ليس للقلب والروح ألذّ ولا أطيب، ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله، والإقبال عليه، وعبادته وحده، وقرة العين به، والأنس بقربه، والشوق إلى لقائه ورؤيته، وإن مثقال ذرة من هذه اللذة لا يُعْدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا.

وقال بعض العارفين: "من قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ويكفي في فضل هذه اللذة وشرفها أنها تخرج من القلب ألم الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا، حتى إنه ليتألم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها، ويفر منه فرارهم من المؤلم، وهذا موضع الحاكم فيه الذوق لا مجرد لسان العلم".

وكان بعض العارفين يقول: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها، فيقال له: وما هو؟ فيقول: محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، ومعرفة أسمائه وصفاته.

وقال آخر: والله إنه ليمرُّ بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذه الحال، إنهم لفي عيش طيب. وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبه، كما قال شاعر الحماسة:

تشكَّى المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

فكانت لقلبي لذة الحب كلها ... فلم يلقها قلبي محب ولا بعدي

أحسنتِ زيدِي

قال عبد الله بن المبارك: عشق هارون الرشيد جارية من جواريـــه، فأرادها، فقالت: إن أباك مسني؛ فشغف بها، وقال فيها:

أرى مـــاء وبي عطـــش شـــديد ولكـــن لا ســـبيل إلى الـــورود

أمـــا يكفيـــك أنـــك تملكـــيني وأن النـــاس كلـــهم عبيـــدي

وأنك لو جهـــدت علـــى تـــلافي لقلت من الرضا: أحـــسنت زيـــدي

لذة اللقاء شفاء

وذكر العتبي أن شابًا من ولد عثمان، وشابًا من ولد الحسين خرجـــا يريدان موضعًا لهما، فنزلا تحت سرحة، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها:

خبرينا– خصصت بالغيث يا ســـر حُ– بصدق والـــصدق فيـــه شـــفاء

وكتب الآخر:

هل يموت المحـــب مـــن ألم الحـــــ ـــبِّ ويشفي مـــن الحبيـــب اللقـــاء

ثم مضيا، فلما رجعا وجدا مكتوبًا تحت ذلك:

إن جهلا سؤالك الـــسرح عمـــا لـــيس يومـــا عليـــك فيـــه خفـــاء

ليس للعاشق المحب مـــن الحـــب ســـوى لـــذة اللقـــاء شـــفاء

دعاء في الطواف

وقال أبو المنجاب: رأيت في الطواف فتى، نحيـــف الجـــسم، بـــيِّنَ الضعف، يلوذ ويتعوذ ويقول:

وددت بـــأن الحـــب يجمـــع كلـــه   فيقذف في قلـــبي، وينفلـــق الـــصدر
فلا يتقصني ما في فؤادي مـــن الهـــوى   ومن فرحي بالحب أو ينقضي العمـــر

فقلت: يا فتى، ما لهذه البنية حرمة تمنعك عن هذا الكلام؟ فقال: بلى والله، ولكن الحب ملأ قلبي بفرح التذكر، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبـــة إلى من لا يشذ عن معرفة ما بي، فتمنيت المنى، والله ما يسرني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك، وإني أدعو الله أن يثبته في قلبي عمري، ويجعلـــه ضجيعي في قلبي، دريت به أو لم أدر، هذا دعائي، أوأنصرف من حجتي، ثم بكى. فقلت: ما يبكيك؟ قال: خوف ألا يستجاب دعائي، وله قـــصدت، وفيه رغبت!

محبة الأعداء

من الكلمات المأثورة عن السيد المسيح عليه السلام قوله: «أحبوا أعداءكم»، وقال دعبل الخزاعي:

أشبهت أعدائي فـــصرت أحبـــهم   إذ كان حظي منـــك حظـــي منـــهم
أجد الملامـــة في هـــواك لذيـــذة   حبًّـــا لـــذكرك فلـــيملني اللـــوم

وقال آخر:

من كان يشكر للـــصديق فـــإنني   أحبـــو بـــصالح شـــكري الأعـــداء
هم صيروا طلب المعـــالي ديـــدني   حـــتى وطئـــت بنعلـــي الجـــوزاء
ولربمـــا انتفـــع الفـــتى بعـــدوه   والسم- أحيانًـــا - يكـــون شـــفاء

وقال آخر:

عِـــداي لهـــم فـــضل ومنـــة فلا قطـــع الـــرحمن عـــني الأعاديـــا
همو بحثوا عـــن زلـــتي فاجتنبتـــها وهم نافـــسوني فاكتـــسبت المعاليـــا

وقال أحد الشعراء:

ســـررت بهجـــرك لمـــا علمـــت أن لقبـــــك فيـــــه ســـــرورا
ولـــولا ســـرورك مـــا ســـرني ولا كنـــت يومـــا عليـــه صـــبورا



المصادر والمراجع

١) العقد الفريد.

٢) خلاصة الأثر.

٣) أمالي أبي القاسم الزجاجي.

٤) الإسعاف شرح شواهد الكشاف.

٥) المضاف والمنسوب.

٦) الحيوان للجاحظ.

٧) نفح الطيب.

٨) وفيات الأعيان لابن خلكان.

٩) خزانة الأدب للبغدادي.

١٠) لوعة الشاكي ودمعة الباكي للصفدي.

١١) طوق الحمامة في الألفة والألاف.

١٢) سبحة المرجان.

١٣) شرح شواهد التحفة الوردية.

١٤) عيون التورايخ.

١٥) خاص الخاص للثعالبي.

١٦) مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور.

١٧) أمالي أبي علي القالي.

١٨) التبريزي على الحماسة.

١٩) سحر العيون.

٢٠) فوات الوفيات.

٢١) اليتيمة للثعالبي.

٢٢) بغية الوعاة.

٢٣) كتاب الترقيص ضمن كتاب اتفاق المباني وافتراق المعاني.

٢٤) إرشاد الأديب.

٢٥) الأغاني.

٢٦) العزيز المحلى.

٢٧) علم الدين، لعلي باشا مبارك.

٢٨) الروض الأنف.

٢٩) الكامل لابن الأثير.

٣٠) بدائع الفوائد.

٣١) روضة الأعيان للتراجم.

٣٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

المحتويات